أنبياء الله

إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع (عليهم السلام)

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾

سورة الصافات ١٧١-١٧٢

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

أنبياء الله

إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع

(عليهم السلام)

تأليف

د. علي محمد محمد الصلابي

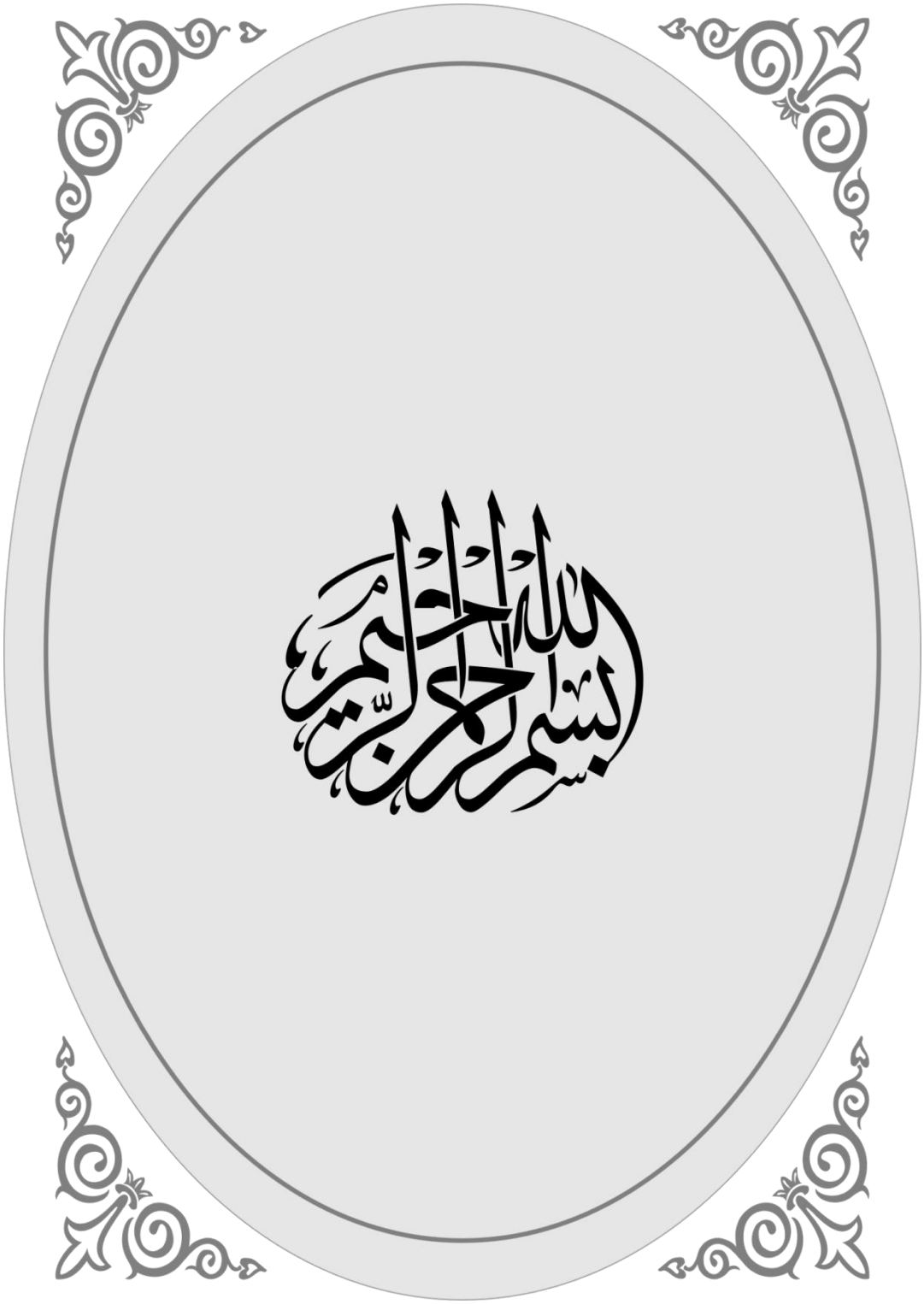
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل إنسان يريد معرفة سيرة نبي الله إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع عليهم السلام كما ذكرت في القرآن الكريم بعيدةً عن الأكاذيب والخرافات والموضوعات.

إلى الذين يهتمون بقصص السادة الكبار من النبيين والمرسلين الأطهار.

إلى الذين يلتمسون طريق الهداية الربانية ويسعون إلى الخروج من الظلمات ما ظهر منها وما بطن، إلى نور التوحيد وضياء العبادة.

إلى المتلهّفين إلى مناجاة الله بالتسبيح والذكر، والتضرع والدعاء والانكسار بين يديه شوقاً لفرجه ورحمته ونعمائه وألطافه سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70-71].

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا .

أما بعد:

هذا الكتاب "أنبياء الله، إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع عليهم السلام" من ضمن سلسلة قادة الحضارة الإنسانية وسادتها العظام، الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وهذه حلقة مهمّة في تاريخ علم من أعلام الإنسانية، وشخصية عظيمة أكرمها الله بالنبوة والرسالة، وخلدها في كتابه

العزيز كقدوة وأســـوة لبني الإنســـان أينما كان، إذ كان من الســـالكين لطريق الهدى والتقوى والإيمان، فإن اعترى الإنسان الضعف البشري المعتاد من التقصير والذنوب والخطايا، فإنه يتعلم من قصـــص الأنبياء والمرســـلين الدروس والعبر والفوائد في الإيمان والعبادة ومحاســـن الأخلاق، ويعمل على الاقتداء والتأسي بهم.

وقد سبق هذا الكتاب مجموعة من الكتب في سلسلة الأنبياء والمرسلين، منها:

- السيرة النبوية.
- آدم عليه السلام.
- نوح عليه السلام.
- هود عليه السلام.
- إبراهيم عليه السلام.
- إسحاق ويعقوب عليهم السلام.
- يوسف عليه السلام.
- لوط عليه السلام.
- داود وسليمان عليهم السلام.
- زكريا ويحيى عليهم السلام.
- أيوب عليه السلام.
- يونس عليه السلام.
- شعيب عليه السلام.

وهذا الكتاب " أنبياء الله؛ إدريس وإلياس وذو الكفل واليسع عليهم السلام" يجمع ما قاله المفسرون والمؤرخون عنهم، ويستعين بالله عز وجل في معرفة الحقيقة والاستفادة من آراء العلماء في الماضي والحاضر مع الوقوف بحزم وعلم وعدل عند الروايات الموضوعة والخزعبلات والأكاذيب والأباطيل التي لا تليق بمقام النبوة والرسالة، فالقصص القرآني له علاقة مباشرة بالذاكرة الإنسانية وبأهم محطاتها الملهمة في تاريخها الطويل، فالوقوف عليها ودراستها من نعم الله على الإنسان للتعرف على خيار بني الإنسان في تاريخهم الممتد عبر الأجيال والدهور والقرون والأزمان. هذا وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى مقدمة مباحث وخلاصة.

المبحث الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشاته وأقوال كتب التاريخ فيه، وهي كان قبل نوح أم بعده.

المبحث الثاني: إدريس (عليه السلام) في سورة مريم.

المبحث الثالث: إدريس (عليه السلام) في سورة الأنبياء.

المبحث الرابع: إلياس (عليه السلام)، نسبه ومكان مولده وعصره عند المؤرخين، وحديث القرآن عنه.

المبحث الخامس: قصة ذي الكفل واليسع عليهم السلام.

وبين الكتاب مكانة هؤلاء الأنبياء وسيرتهم وذكرهم من القرآن الكريم وعلماء التفسير وأهل الاختصاص في علم التاريخ بمنهجية معتمدة على الله ثم على العدل والإنصاف.

وقد انتهيت من هذا الكتاب في الساعة السادسة مساءً مع أذان المغرب بمدينة الدوحة في دولة قطر – حفظها الله من كل سوءٍ وسائر بلاد المسلمين– في 18 شوال/1446هـ، يوم الأربعاء 16 أبريل/2025م.

وأدعو الله من أعماق قلبي أن يتقبل مني هذا الجهد، فإنه منه وإليه سبحانه وتعالى، فهو الذي أعان على إكماله بفضله وكرمه وجوده، فلو تخلّى عني ووكلني إلى عقلي ونفسي لتلبّد مني

العقل وغابت الذاكرة ويبست الأصابع وجفت العواطف وتحجّرت المشاعر وعجز القلم عن البيان. اللهم بصّرني بما يرضيك واشرح صدري، وجنبني ما لا يرضيك واصرفه عن قلبي وتفكيري، وأسألك يا الله، بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا، أن تثيبني وإخوتي الذين أعانوني على تمام هذا الجهد.

اللهم اجعل هذا العمل لوجهك خالصاً ولعبادك نافعاً، واطرح فيه البركة والقبول والنفع العظيم.

رب اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين.

نرجو ممن يقرأ هذا الكتاب أو يطّلع عليه ألّا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته من دعائه، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: 10].

الفقير إلى رحمة الله ومغفرته ورضوانه

علي محمد محمد الصلابي

18 شوال/1446هـ

يوم الأربعاء 16 أبريل/2025م

المبحث الأول: "إدريس عليه السلام"

اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأقوال كتب التاريخ فيه، وهل كان قبل نوح (عليه السلام) أم بعده

يُعَدّ إدريس (عليه السلام) من الأنبياء الذين خلد القرآن الكريم ذكرهم وأثنى عليهم بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 56]، وهو من أوائل الأنبياء الذين جمعوا بين النبوة والحكمة والعلم، ونُسب إليه تعليم الناس الكتابة والخياطة والنجوم. وقد تنوعت أقوال المؤرخين والمفسرين في نسبه وموطنه وزمانه، وهل كان قبل نوح (عليه السلام) أم بعده، كما اختلفوا في تحديد بلده وهل هو أخنوخ المذكور في التوراة. ويهدف هذا المبحث إلى تتبّع الروايات الموثوقة في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي، مثل "تاريخ الطبري" و"البداية والنهاية" لابن كثير، مع تحليل ما ورد عن مولده ونشأته ودوره في مسيرة البشرية، لإبراز مكانته ضمن موكب الأنبياء ودوره في بناء أسس الحضارة الإيمانية الأولى.

أولاً: اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأقوال كتب التاريخ فيه:

1- اسمه ونسبه:

اختلف المؤرخون في اسم إدريس ونسبه ومولده، وهناك من يقول إنه كان معروفاً عند الشعوب القديمة، فعُرف بالعبرية باسم "خنوخ"، وبالترجمة العربية "أخنوخ"، وعند الإغريق (اليونان) باسم "هرمز"، وعند المصريين بـ "هرمس"، وقيل عنه: هرمس الهرامسة وأسد الأسود، وذكره القرآن الكريم باسم "إدريس" عليه وعلى نبيّنا أفضل السلام، وقيل: إنه سمّي "إدريس" لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث[1].

[1] أنبياء الله الكرام، د. حنان قرقوني، ص 33.

وقيل: إنه سمّي بإدريس لأنه توصّل بمداومة الدرس إلى علمٍ غزيرٍ بما نزل من الوحي قبله[2]. وقيل: هو من ترك أثراً باقياً على مر الزمن، أو هو العلامة التي لا تمحى ولا تزول مع مرور الأيام، وهي باقيةٌ إلى ما شاء الله تعالى[3].

وورد عن نسبه في الروايات التاريخية أنه جد أبي نوح (عليه السلام)، ويقال: جدّ نوح، ولا يثبت شيءٌ من ذلك من حيث الصحة والدقّة. ويقول ابن كثير في نسب إدريس عليه السلام: هو في عمود نسب رسول الله على ما ذكره غير واحد من علماء النسب[4]. وورد في جامع البيان للطبري في نسب إدريس (عليه السلام) أنه بُعث في الفترة ما بين آدم ونوح [5]. وجاء في نسبه أنه جد أبي نوح (عليه السلام)، ابن لامك بن متوشالح بن أخنوخ، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر[6]. وذُكر ابن إسحاق أنه أدرك من حياة آدم ثلاثمائة وثمانين سنة[7]. وجاء في تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري: نبّأ الله أخنوخ بعد أن مضى من عمر آدم ستمائة واثنتان وعشرون سنة.

وخلاصة القول في نسب إدريس (عليه السلام) أنه من أصول نوح (عليه السلام)، ويرى بعض العلماء أنه جد نوح كالطبري في كتابه "جامع البيان"[8]، والألوسي في "روح المعاني" عن وهب بن منبه[9]، بينما يرى آخرون أنه جد أبي نوح كما جاء في تفسير الزمخشري، و"المعارف" لابن قتيبة، و"البحر المحيط" لأبي حيان، والرازي في تفسيره، وكذا البيضاوي والمراغي والخازن في

---

[2] من أنباء القرى، د. أحمد الكبيسي، ص 100.

[3] أسماء الأنبياء .. دلالاتها ومعانيها، خالد محمد، ص 174.

[4] البداية والنهاية، ابن كثير، (154/1).

[5] الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، الحاج محمد وصفي، ص 48-52.

[6] نبي الله إدريس (عليه السلام) بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، د. هدى درويش، ص 91،92.

[7] الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، (19/1),

[8] تفسير الطبري، (73/16).

[9] روح المعاني، الألوسي، (105/16),

تفاسيرهم، ويذكر النيسابوري أنه من أجداد نوح[10]. ويذكر الألوسي في "روح المعاني" – على ما في مستدرك الحاكم لابن عباس – أن إدريس (عليه السلام) نبيٌ قبل نوح وبينهما ألف سنة[11]. وقال أبو حيان والنسفي والألوسي في تفاسيرهم: إن إدريس (عليه السلام) أول مرسلٍ بعد آدم. وخلاصة ما قيل في نسبه أنه جد أعلى لنوح (عليه السلام) وأنه عاش قبل الطوفان[12]. ولكن هذا غير مسلم عند كثير من المحققين كما سيأتي –بإذن الله تعالى– بيانه، ولا يمكن الجزم بما قال به الكثير من المؤرخين.

2– مولده ونشأته وهجرته:

ذكرت بعض المصادر التاريخية أن إدريس عاش في الفترة التي بين آدم ونوح عليهما السلام، وهي فترة ما قبل الطوفان، أي أقدم من 5000 ق.م، خلال العصر المسمى بالعصر الحجري "6000-5000 ق.م".

وهناك عدة آراء للعلماء المسلمين في مولد إدريس ومكان نشأته، ولا بدَّ من الإشارة إلى أن جلّ ما نعرفه عن إدريس (عليه السلام) روايات تاريخية متباينة، لا نملك أدلةً ذات قيمة على صحتها، ومن الملاحظ أن شخصية إدريس في الكتب التاريخية تتداخل وأكثر من شخصية معروفة في أكثر من حضارة قديمة، ومن هذه الشخصيات هرمس اليوناني، وأوزوريس المصري[13]، وأخنوخ التوراتي. وقال ابن كثير –رحمه الله–: وكان أوّل بني آدم، أعطي النبوة بعد آدم وشيث عليهما السلام. وذكر ابن إسحاق: أنه أوّل من خطّ بالقلم، وقد أدرك من حياة آدم ثلاثمائة سنة وثماني سنين. وقد قال طائفة من الناس: إنه المشار إليه من حديث معاوية بن الحكم السلمي، لما سأل

[10] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (494/8).

[11] روح المعاني، الألوسي، (96/16).

[12] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 92.

[13] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 93.

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الخطّ بالرمل، فقال: إنه كان نبيٌّ يخط به، فمن وافق خطه فذاك [14].

ويزعم كثيرٌ من علماء التفسير والأحكام أنّه أوّل من تكلّم في ذلك، ويسمّونه هرمس الهرامسة، ويكذبون عليه أشياء كثيرة، كما كذبوا على غيره من العلماء والحكماء والأولياء[15]. هذا وقد ذكر الألوسي أنه ولد بمصر، وسموه هرمس الهرامسة، حيث أقام فيها يدعو لعبادة الخالق وللتوحيد، وأمر الخلائق بالصلاة وجهاد الأعداء، والزكاة لمعاونة الضعفاء. وذكر ابن جلجل: قال أبو معشر: كان سكن إدريس (عليه السلام) بصعيد مصر. ويذكره ابن أبي أصيبعة: وعند العرب أن إدريس (عليه السلام) مولده بمصر[16].

ويقول صاعد الأندلسي في كتابه " طبقات الأمم": ذكر جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن هرمس الأول، الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم (عليه السلام)، وهو إدريس النبي (صلى الله عليه وسلم)[17].

ويرجح بعض العلماء أن بني شيث وبني أنوش وقنيان ومهلائيل سكنوا الهضبة الشرقية لوادي النيل، وعندما قلّ العشب في الهضبة أخذوا يتجهون غرباً حتى وصلوا إلى نهر النيل لتوفر المياه والمراعي، لذلك ظهرت أولى الحضارات في العالم في مصر، فأقام إدريس (عليه السلام) في مصر، وتلاه نوح في العراق، وعاشوا جماعات متفرقة، وبنوا بيوتاً فيها[18]. ويقول القفطي: قالت فرقة

---

[14] البداية والنهاية، ابن كثير، (155/1). مسلم، رقم: 537.

[15] المصدر نفسه، (155/1).

[16] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 93.

[17] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 93.

[18] قصص الأنبياء والتاريخ، رشدي البدراوي، ص 47-49.

إنه ولد ببابل ونشأ فيها وأخذ علمه من شيث بن آدم جد أبيه، ونهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فآمن به قليل، وخالفه الكثير هو وأتباعه إلى مصر[19].

وقال الدكتور أحمد الكبيسي: وكان ظل التوحيد يتقلص في الأرض، والدعوة إلى الرشد تُنقص من أطرافها، حتى عادت الأصنام تغزو بيوت بابل، وفي إحدى الروايات أن إدريس (عليه السلام) اضطلع بالدعوة إلى التوحيد متابعاً مسيرة المستخلفين في الأرض من آبائه، وقاتل المفسدين والمشركين من ذرية قابيل، وبيّن للناس فسادهم ودعاهم إلى عدم ملابستهم، لكن الاستجابة إلى دعوة إدريس لم تسجل تقدماً ظاهراً، وظلت بطيئة ومحدودة، فما آمن معه إلا قليل، ورأى إدريس عقم الدعوة في بابل، وأن مدّ الضلال قد بدأ يستنفد قواه، ويُسئم من معه من المؤمنين، ورأى أنه لن يؤمن معه بعد إلا من قد آمن، فقرّر الهجرة بهم[20].

اتجه إدريس بالعصبة المؤمنة إلى الجنوب وكانت الجزيرة العربية محطتهم الأولى، ويبدو أنهم لم يجدوا فيها مناخاً صالحاً للدعوة ليس كما كان في العراق، فلم يلبثوا أن رحلوا عنها يقودهم الشوق إلى بديل للطوفان العظيم الذي خلّفوه في الوطن الأم. فتحوّل إدريس بالمؤمنين على الشام، ولكنهم لم يمكثوا فيها مكثاً يذكر، بل تابعوا المسير إلى فلسطين، حيث كانت الوثنية عقبةً كأداء أمام الدعوة التي يحملها على عاتقه، فلم يلبثوا أن غادروها متجهين إلى وادي النيل. وفي الروايات أنه عزّ على إدريس والمؤمنين هجر العيش الرغد في بابل، ذات الجنان والأنهار، فدعا إدريس ربّه أن ينقله إلى أرضٍ ذات نهر مثل بابل، فرأى الانتقال إلى مصر، وكانت هجرته إليها منطلقاً إلى واقعٍ جديدٍ برزت فيه السمة الحضارية لدعوته[21].

كانت المنطقة التي عُرفت فيما بعد بمصر أرضاً بِكراً قليلة السكان، وعندما رأى إدريس والمؤمنون النيل العظيم وما يحيط به من خصبٍ وخضرة، أدركوا بأنه العوض الذي أنعم الله به عليهم بعد

---

[19] المصدر نفسه، ص 53.

[20] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 102.

[21] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 104.

هجر بابل، وسنوات التشرد والتقلب في البلاد، فأطلقوا عليها اسم بابليون، ولعلها تعني بابل العظمى أو الفضلى[22]. وقد استقر إدريس في صعيد مصر الأعلى، ويبدو هنا أن الاستقرار منحه الفرصة لتفعيل قدرات عقله، الموسوعي الفذ، فوضع أسس حضارة هائلة لم تزل تثير التساؤلات، لما تنطوي عليه آثار تلك الأرض من الأسرار[23].

3- كتب التاريخ التي تحدثت عن إدريس عليه السلام:

تحدثت عديد من كتب التاريخ التي تحدثت عن إدريس (عليه السلام)، ومنها الكتب التي اهتمت بقصص الأنبياء وأقوال علماء التاريخ، ومنها:

- تاريخ الطبري.
- تاريخ ابن كثير.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير[24].
- في صحبة الرسل الكرام[25]، السيد عبد المقصود عسكر.
- القصة في القرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي.
- تاريخ الأنبياء، محمود عبده[26].
- أنبياء الله، أحمد بهجت[27].

---

[22] وتحتفظ كتب التاريخ لمصر باسم بابليون، وقيل إنما سميت مصر نسبةً إلى مصريام بن حام بن نوح عليه السلام.

[23] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 104.

[24] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (58/1).

[25] في صحبة الرسل الكرام، عبد المقصود عسكر، ص 38.

[26] تاريخ الأنبياء، محمود عبده، ص 75.

[27] أنبياء الله، أحمد بهجت، ص 200.

- رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر[28].
- أنبياء القرآن، عبد المجيد همو[29].
- قصص الأنبياء، عاطف الزين[30].
- الأنبياء في القرآن .. قصص وعبر، هدى جعفر[31].
- أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم صبري[32].
- قصص القرآن .. قراءة قرآنية، عمرو الشاعر[33].
- قصص الأنبياء، محمد الفقي[34].
- قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل[35].
- نظرات أحسن القصص، محمد السيد الوكيل.
- قصص القرآن، توفيق الواعي.
- قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار.
- صحيح الأنباء المسند من أحاديث الأنبياء، سليم بن عيد الهلالي.
- في رحاب قصص الأنبياء والرسل .. دروس وعبر، عبود الراضي.
- مع الأنبياء وجهادهم من خلال سورة الأنبياء، محمود عبدالحميد الأحمد.

---

[28] رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، ص 67.

[29] أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، ص 27-28.

[30] قصص الأنبياء، عاطف الزين، ص 121.

[31] الأنبياء في القرآن .. قصص وعبر، هدى جعفر، ص 33-34.

[32] أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم صبري، ص65.

[33] قصص القرآن .. قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، ص 271.

[34] قصص الأنبياء، محمد الفقي، ص 31.

[35] قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص 41.

- معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، محمد العناني.
- شرعة الأنبياء، محمد مصطفى الزحيلي.

وقد راجعت غيرها من الكتب والمصادر والمراجع المهمة في دراسة هذا الموضوع.

4- من أهم الكتب في سيرة نبي الله إدريس عليه السلام:

من وجهة نظري وعلى حسب اطلاعي المحدود أن من أهم الكتب التي جمعت المراجع والمصادر التاريخية والدينية وعلماء التفسير والتاريخ، في سيرة النبي إدريس (عليه السلام) كتاب "نبي الله إدريس بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام"، للدكتورة هدى درويش، وقد اهتمت الدكتورة هدى بمنهجية الروايات والقصص الإسرائيلية ودخولها في التفاسير الإسلامية وكتبت عنها مباحث مثل:

المبحث الأول: القصص بين العقيدة اليهودية والإسلامية.

المبحث الثاني: قصص الأنبياء بين القرآن والتوراة.

المبحث الثالث: الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية، وتحدثت عن مفهوم الإسرائيليات وأسباب دخول الإسرائيليات في كتب التفسير الإسلامية، ومراحل تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير والحديث، ومرحلة الرواية ومرحلة التدوين، وأبرز رواة الإسرائيليات من التابعين، كعبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وتميم الداري، ومحمد بن السائب الكلبي، وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريح، وتحدثت أيضاً عن طرق تناول الإسرائيليات في كتب التفسير والحكم على الإسرائيليات في تلك الكتب، والحكم على الإسرائيليات من علماء المسلمين وأدلة جواز الأخذ من أهل الكتاب.

المبحث الرابع: الإسرائيليات في تفسير ابن كثير، في ذكره إدريس عليه السلام.

وذكرت في الفصل الثاني أخنوخ "إدريس عليه السلام" بين الروايات اليهودية والتفاسير الإسلامية، وتحدثت عن أخنوخ في النصوص الدينية في العهد القديم "التوراة"، وفي العهد الجديد "الإنجيل". وعن إدريس (عليه السلام) في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، والاختلافات حول مسمى إدريس (عليه السلام) "أخنوخ"، والتصور اليهودي لقصة أخنوخ وعن نسبه ومولده ونشأته وعمله ووفاته، وعن صحف إدريس "أخنوخ".

وفي الفصل الثالث: مكانة أخنوخ "إدريس عليه السلام"، وصفاته بين اليهودية والإسلام.

وفي الفصل الرابع: إدريس (عليه السلام) "تأملاته وصفاته وحكمه".

وبعد دراسة في كتب التاريخ وثقافات الأمم، ختمت الدكتور هدى الكتاب بهذه الخاتمة:

ولقد اختلفت مسميات إدريس (عليه السلام) وألقابه باختلاف الشعوب والترجمات، حتى قاربت العشرين اسماً، أشهرها إدريس (عليه السلام) الوارد في القرآن الكريم الذي يعني الدارس والمتعلم، وخنوخ في العبرية، وأخنوخ في ترجمات العهدين القديم والجديد – التوراة والإنجيل –، وهرمس الحكيم في المصرية القديمة واليونانية، غير أن جميع المسميات تلك ترمز إلى شخص واحد وهو النبي إدريس عليه السلام.

إن ما أوردناه من روايات عن إدريس (عليه السلام) من خصائص فريدة وصفات مميزة وقدرة فائقة أولاه الله بها، سواءً في متونه المصرية القديمة، أو الروايات اليهودية، أو الروايات الإسلامية، نجد جميعها تؤكد على مكانته وقدره العالي عند المولى جلَّ جلاله، وكذلك معرفته السامية بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، وخضوعه وطاعته للقدرة الإلهية، ودعوته وصبره ومثابرته على حث البشر إلى طاعة الله مما جعله جديراً للاقتداء به، كما أمرنا الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90].

إن النبي إدريس (عليه السلام) هو الرسول المصدَّق لآيات الله في خلقه، وهو نموذج العابد العامل الخاضع لأوامر الله واجتناب نواهيه، وهو الصابر المجاهد مع قومه في سبيل الله، وتعاليمه هي

طرق الوصول للمعرفة الإلهية الحقة؛ استناداً لقول الله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85].

وهو من الأنبياء الذين أنعم الله عليهم بالاجتباء والهداية من ذرية آدم (عليه السلام)، فقال تعالى في سورة مريم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ [مريم: 58]، ثم هو الذي شرّفه الله بالرفع إلى المكان العلي، فقال تعالى في حقه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57].

ومقارنةً بالروايات اليهودية الواردة بشأن أخنوخ "إدريس عليه السلام"، وما نقل منها في التفاسير الإسلامية، ثم الرجوع لقول القرآن الكريم، يلاحظ ما يلي:

– في الرواية اليهودية:

- اهتمام مؤلفي القصص الدينية بشخصيات مقدسة كالأنبياء، مثل أخنوخ وإبراهيم وغيرهما، استناداً على تأكيد أنهم ورثة لتلك الشخصيات.
- تشويه صورة ومكانة الملائكة، وإلصاق الخطايا بهم، والقول بوقوعهم في أخطاء لا يقع فيها إلا البشر؛ مثل القتل وشرب الخمر والزنا، وتعليم النساء أمور السحر والتبرج والزينة لأجل الفتنة، وتعليم البشر استخدام الآلات الحادة والأسلحة.
- تطويع النصوص للمبالغة في تحميل النساء كل الشرور التي تقع على الأرض، وتصويرهن بمشيعي الفتنة بين البشر.
- قدرة مؤلفي الروايات على توسيع وزيادة النص المقدس المقتضب الوارد في سفر التكوين "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه"، فظهرت مبالغات واستطرادات وخيالات الرواة؛ بوصفهم رحلاته المتكررة مع الملائكة إلى السماوات، طلب الملائكة شفاعته عند الرب، تقديمه الأوامر للملائكة، تتويجه رئيساً على الملائكة، ودعوة الملائكة له بالإله الأصغر (إلوهيم هاقاطون).

● استخدام الرواة اليهود قصص الأنبياء لخدمة الرؤية الاستعلائية في التميز عن باقي الأمم، فعلى الرغم من قدم عهد أخنوخ، وأنه ليس من أنبياء بني إسرائيل، إلا أن اليهود يزعمون نسبته لأنفسهم، ويظهر ذلك في أقوال الربانيين بشأن أخنوخ:

- أخنوخ هو الذي سلّم الشريعة لموسى (عليه السلام) على جبل سيناء.
- أخبر أخنوخ موسى بأسرار لا يعرفها إلا الخاصة من أبناء بني إسرائيل للتغلب على الأعداء.
- دعاء أخنوخ للرب أن يرحم بني إسرائيل من ظلم الأمم الأخرى (الجوييم).
- الادعاء بنزول أخنوخ فلسطين في نهاية الزمان بصحبة الملائكة للتمهيد بمقدم المسيح.

- يلاحظ في الروايات الإسلامية عن إدريس عليه السلام:

● الإقرار بمكانة إدريس (عليه السلام) السامية طبقاً لما ورد في النصوص القرآنية الواردة في حقه (عليه السلام) ومكانته العالية، وبيان قدره الكبير كنبي مرسل مكرم من قبل الله تعالى.

● ورود بعض المبالغات التي صاحبت روايات ابن كثير وغيره، والمنقولة عن الإسرائيليات[36]، وقد حذر ابن كثير منها وقال: " وهذه من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة"[37].

وتقول الدكتورة هدى درويش:

● يمثل دخول الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية خطورةً كبيرة على مفاهيم القارئ المسلم العام الذي تستهويه تلك الروايات، ويقبل عليها ظناً منه أنها غذاء روحي، وزيادة في المعرفة.

● إن روح العصر الذي نعيشه تعتمد على سرعة الحصول على المعلومة المركزة والصحيحة، والمعتمدة على القرآن والسنة الصحيحة بلا إطناب أو زيادة أو مبالغة.

● دخول هذه الإسرائيليات التفاسير الإسلامية هي من الوسائل التي يجد فيها الغرب متنفساً لغزو فكره لعالمنا العربي الإسلامي، وخاصة في وقتنا الحاضر.

---

[36] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 257.

[37] البداية والنهاية، ابن كثير، (155/1).

● ضرورة بذل الجهد لاخراج وتنقية التفاسير الإسلامية من الروايات الإسرائيلية، والتي لم ترد في الكتاب والسنة، والخارجة عن التصور العقلي والمنطقي.

● إن مهمة تنقية التفاسير الإسلامية من كل ما هو إسرائيلي هي عمل مشترك يقوم به:

المتخصص في التفسير القرآني المتتبع للمعاني القرآنية.

المتخصص في الحديث النبوي المتتبع الأسانيد؛ لإظهار تلك الإسرائيليات وتنقية التفاسير منها.

المتخصص في الدراسات العبرية المطلع على المصادر والكتب اليهودية؛ للقيام بعمليات التوثيق الصحيح للنصوص من المراجع اليهودية الأصلية.

● من يريد دراسة الإسرائيليات، فليفرد لها مصنفات لا يطلع عليها إلا المتخصص الذي يعلم كيفية التعامل معها.

● إن وجود هذه الإسرائيليات داخل التفاسير الإسلامية يساعد على تسلل المغرضين داخل النصوص الإسلامية؛ لخدمة أهدافهم عن طريق استغلال الروايات غير الصحيحة؛ فالإسلام لم يسلم من الهجوم والتحدي عهوداً طويلة، ويشهد اليوم هجوماً أشد، ومن هنا فلا بد من التيقظ لها[38].

5- المُلهَم: إدريس عليه السلام:

يقول الدكتور أحمد عبيد الكبيسي: "إدريس في ذاكرة التاريخ الموغل في أصول الزمان شخصيةٌ رائدة، ترمز إلى العلم والحكمة، ويُنسب إليه وضع الأسس الأولى للحضارة الإنسانية قبل الطوفان، ومما يقال عنه أنه امتلك مفاتيح العلوم، ونقرأ في "كشف الظنون" أنه اشتهر عنه من العلوم ما لم يشتهر عن غيره[39]. وفي الروايات أنه كان طلاب العلم يأتونه من كل مكان في الأرض المعمورة يأخذون عنه العلوم. وتتداخل شخصية إدريس (عليه السلام) في كتب المؤرخين

[38] نبي الله إدريس، هدى درويش، ص 256-258.

[39] مقدمة كشف الظنون، حاجي خليفة، ص 25.

بشخصية هرمس اليوناني، ففي "كشف الظنون": (ولقب بهرمس الهرامسة والمثلث بالنعمة، لأنه كان نبياً ملكاً حكيماً، وجميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عنه في قول كثير من العلماء)[40].

كما أشار كثيرون إلى أن أخنوخ الذي جاء ذكره في التوراة، وأخنوخ بالعبّرية تعني "الملهم"، وفي المصادر الإسلامية أن إدريس ملهمٌ بالعلوم والفنون، ومن هنا جاء زعم بعضهم أن اسمه مشتقٌ من الدرس.

وقد ذكر بعض الباحثين ما علق في الثقافة المصرية القديمة من خرافات وخيالات وأساطير من كون "إدريس" تعريبٌ لكلمة "أوزوريس" المصرية القديمة، وقد صبغت حول أوزوريس أساطير كثيرة، منها أنه إله، وأنه صعد إلى السماء وصار له فيها عرشٌ عظيم، فكل من وزنت أعماله بعد الموت، فوُجِدت حسناته ترجح سيئاته يلحق بأوزوريس، وقد علّم أوزوريس الناس العلوم والمعارف قبل صعوده إلى السماء[41].

وقال الدكتور أحمد الكبيسي: اتسم عصر إدريس بظهور بواكير فعاليات العقل الإنساني الناضجة، والتي شكلت بداية الحضارة الإنسانية بشقيها المادي والمعنوي، ولعل هذا كان وراء نسبة كثيرٍ من أوليّات الحضارة إلى إدريس (عليه السلام)، وليس في هذا ما يخرج عن نطاق المعقول، فالآثار القليلة التي تشير إليه تقول إنه كان عقلاً فذّاً، استطاع أن ينفذ من أقطار العقل في زمانه بسلطان من الفكر الصافي والفطرة الحيّة النقيّة، وتوصّل إلى هذه العلوم العظيمة بالإيحاء والوحي والتجربة، وبما فتح الله عليه من أبواب الحكمة[42].

---

[40] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 140.

[41] المصدر نفسه، ص 105.

[42] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 105.

ومما تنسبه الروايات إلى إدريس أنه:

أ- أول من خط بالقلم:

جاء في "كشف الظنون": وفي روايةٍ أن آدم (عليه السلام) كان يرسم الخطوط بالبنان، وكان أقرب عهد إليه إدريس (عليه السلام)، فكتب بالقلم، وبالقلم دوّن إدريس كل معارفه وجعلها في أسفارٍ آلت إلى حفيده نوح (عليه السلام)، فحملها من نينوى في العراق إلى فلسطين[43].

وهناك خلافٌ بين العلماء هل كان نوح قبل إدريس أم بعده؟ وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً بإذن الله تعالى. كما أن آدم (عليه السلام) نزل إلى الأرض بأدوات التمكين الروحية والبدنية والنفسية والفكرية والعقلية والعلمية، فالإنسان الكامل أو الأسرة الكاملة التي أنشأت الحضارة الإنسانية الأولى على معرفةٍ بالوحي والعقل وأدوات البحث العلمي التي تساعدها على عمارة الأرض، ومثال ذلك في أبينا آدم وأمنا حواء عليهم السلام.

والحديث عن أسفار إدريس ومدوناته يتّسم بالغموض وتصبغه الأسطورة ذلك أن ما ينسب إليه منها في المصادر هو مجموع ما نسب إلى شخصيات أربع وهي: إدريس وإلياس النبيين، وأوزوريس الملك المصري، وأقل ما يمكن قوله إن ما ينسب إلى تلك الشخصية يحتاج إلى تحقيق علمي لا تتوفر أدواته، وقد جاء في كتاب "من أنباء الرسل" للدكتور عبد السلام بدوي أن بحاراً اسكتلندياً عثر في الحبشة على أسفار سيدنا إدريس في عام 1776م، وبعد مائة سنة من هذا التاريخ عُثر في يوغوسلافيا على نسخة أخرى من تلك الأسفار، مترجمة إلى العبّرية واليونانية والحبشية، وتقع في مائة وثمانية فصولٍ تتحدث عن الجنة والنار وعن يوم القيامة، وعن أنّه سوف يكون على الأرض طوفان يهلك الناس إلا من رحم ربك، وهم قليلون.

[43] المرجع نفسه، ص 105.

ولا يعني هذا أن تلك الأسفار قد كُتبت في عهده (عليه السلام)، بل الأغلب أنها دُونت وتداولها الناس بعد ذلك بمئات السنين، كما هي الحال بالنسبة إلى الأناجيل[44].

ويتعذر على الباحث المنصف أن يثبت تلك الأسفار المنسوبة إلى إدريس (عليه السلام) لأنها بدون زمام ولا خطام ولا أسانيد، ويعتريها الكثير من القصور في منهج البحث العلمي الأصيل.

ب- أوّل من بنى هرماً:

قيل إنه عُثر على أسفار إدريس (عليه السلام) في بعض الأهرام، والأهرام من عجائب الدنيا التي لا يزال الغموض يحيط بها حتى يومنا، يقول صاحب "تاج العروس": والهرمان اختلِف فيهما اختلافاً جمّاً، فقيل بناهما هرمس الأول المدعو بالمثلّث الحكمة، وهو الذي يسميه العبّرانيون أخنوخ، وهو إدريس (عليه السلام)، لما استدل به من أحوال الكواكب على كون الطائف لجفظ العلوم والأموال فيهما من الطوفان، إشفاقاً عليهما من الذهاب والدروس واحتياطاً، ولا يخفى أن النصّ يعتبر الأمر رواية لا يمكن الركون إليها[45].

ج- أول من نظر في الطبّ:

وفي مقدمة "كشف الظنون" أن إدريس أول من نظر في الطبّ وألف لأهل زمانه قصائد في البسائط والمركبات[46]، فإذا كانت البسائط والمركبات تعني العناصر الطبيعية، فالقصائد المذكورة منظوماتٌ علمية في الطب.

س- أول من خاط الثياب:

وقيل إنّهم كانوا قبل ذلك يلبسون الجلود، ولكن لبس الجلود مستبعدٌ حين يقترن بما يشير إليه بناء الأهرام وحفظ نتائج العلوم من تقدمٍ يصعب أن يكون عليه لابسوا الجلود، ولا سيّما أن

---

[44] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 106.

[45] المرجع نفسه، ص 107.

[46] مقدمة كشف الظنون، حاجي خليفة، ص 26.

مصر القديمة قد اشتهرت منذ أن بدأ الاستقرار فيها ببضاعة القماش المصنوع من مواد بيئية نباتية كالقطن. ولعل هذا القول يعني بدء عملية صنع الثياب المعروفة، والتي تعني تفصيل النسيج وضم الأجزاء بعضها إلى بعض للحصول على قطعةٍ من الملابس بالشكل المطلوب، بعد أن كان السائد أن يُشتمل بالنسيج اشتمالاً، وتلك نقلةٌ حضارية عظيمة في هذا المجال.

تقول بعض كتب التاريخ: كان إدريس (عليه السلام) رائدها، ويؤيد هذا ما جاء في أخبار إدريس من أنه كان خياطاً وأنه أول من استعمل الإبرة[47]، ويشكل على هذا القول ويبين ضعفه قوله تعالى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: 22]، أي: يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة ليستترا بذلك[48].

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26]، لما أهبط الله آدم وزوجته وذريتهما إلى الأرض أخبرهما بحال إقامتهم فيها، أنه جعل لهم فيها حياةً يتلوها الموت، مشحونةً بالامتحان والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها يرسل إليهم رسوله وينزل عليهم كتبه حتى يأتيهم الموت فيدفنون فيها، ثم إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار الحقيقية، وهي دار المقامة، ثم امتنَّ عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي يُقصد منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء كالطعام والشراب والمراكب ونحوها قد يسر الله للعباد ضروبها ومكمِّل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصوداً بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونةً لهم على عبادته وطاعته، ولهذا قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، من اللباس الحسّي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح، أما اللباس الظاهري فغايته أن يستر العورة الظاهرة أو يكون جمالاً للإنسان. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: ذلك المذكور

[47] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 107.

[48] تفسير السعدي، ص 346.

لكم من اللباس مما تذكرون به ما ينفعكم ويضركم، وتستعينون باللباس الظاهر والباطن[49]. فعلاقة الإنسان باللباس قديمةٌ منذ آدم (عليه السلام) الذي قال الله في حقه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

ع- أول من نظر في النجوم:

وتذكر كتب التاريخ والأسفار المنسوبة إلى إدريس (عليه السلام) والله أعلم بصحّتها، أنه أول من تكلم في علوم الفلك، وذكرت تلك الأسفار عن الكون كلاماً عجيباً لم يأت العلم حتى اليوم بما يخالفه، ومن ذلك ذكر دوران الشمس الذي لم يتوصل العلم المادي إلى إثباته إلا مؤخراً، وقد قيل أنه أول من اكتشف المجرات والمدارات والنجوم، ونقاط التقائها وما بها من أسرار، وقد كتب كل ذلك العلم في أسفاره، ولعل اهتمام إدريس بعلم الفلك قد بدأ في بابل ولكن أموره لم تلبث أن اضطربت فيها، فهاجر إلى مصر حيث استقر ونمّى هذا العلم وطوره فيها[50].

غ- أول من خطط المدن وبناها ومصّر الأمصار:

وفي الروايات أنه بُني في زمانه مئات المدن وأن قصر "أنس الوجود" هو أقدم أثرٍ تاريخي في صعيد مصر ومن أقدم آثار العالم، كان مسكناً له عليه السلام.

د- أول من بنى المعابد وعبد الله تعالى فيها:

تذكر الكثير من المصادر أن إبراهيم (عليه السلام) أول من أقام بناءً مخصصاً للصلاة في الأرض، في إشارة إلى إقامته المحاريب في أرض كنعان، ولعلّ كلمة "الأرض" في قصة إبراهيم تشير إلى بلاد الشام[51]، والصحيح أن آدم (عليه السلام) وأمنا حواء وذريتهما الأولى أوّل من عبَدَ الله في هذه الأرض، وقد يكون صاحب ذلك بناءُ مكانٍ لعبادة الله فيه.

---

[49] تفسير السعدي، ص 346.

[50] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 108.

[51] من أنباء القرى، أحمد الكبيسي، ص 108.

ذ- ترك جملة من الشرائع:

منها إقامة العدل وإقامة الصلاة، وصيام أيّامٍ معينة وأداء الزكاة على الأموال، والتطهّر من الجنابة، وتحريم لحم الحمار والكلب، وتحريم المسكر وتقديم القرابين، وتسمية أعيادٍ في أوقاتٍ معروفة، أي أنه أتى بمناسك وشريعة شبه كاملة. وفي تفسير النسفي أنّه أول من اتخذ الموازين والمكاييل، وأوّل من استخدم الأسلحة في قتاله بني قابيل. وتنقل إلينا الروايات من صفات إدريس (عليه السلام) أنه كان متأنّياً في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، وقوراً، إذا مشى نظر إلى الأرض، كثير الفكرة وكثير التأمل، به عبسةٌ إذا اغتاظ احتدّ، وإذا تكلم حرّك سبّابته[52].

ش- ما نسب إليه من الحكم والمواعظ:

مما تزعم المصادر أنه من حكم إدريس عليه السلام:

- خير الناس من نفع الناس.
- من لا يشكر الناس لا يشكر الله.
- الحكمة حياة النفس.
- لا تحسد الناس على ما وافاهم من الحظ فإن استمتاعهم به قليل.
- تجنبوا المكاسب الدنيئة[53].
- من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء[54].
- خير الدنيا حسرةٌ وشرها ندمٌ، إذا دعوتم الله تعالى فأخلصوا النية، وكذا الصيام والصلوات فافعلوا[55].

---

[52] المرجع نفسه، ص 109.

[53] المرجع نفسه، ص 109.

[54] قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ص 54.

[55] نظرات في أحسن القصص، محمد السيد وكيل، (65/1).

وغير ذلك من الحكم والمواعظ.

وقالت كتب التاريخ: كانت مدة مقامه في الأرض اثنتين وثمانين سنة[56]. وذكر أنه توفي عن ثلاثمائة وخمسٍ وستين سنة[57]، وقيلت في وفاته ورفعه أقوالٌ كثيرة سنعرض لها عند قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، بإذن الله تعالى.

إن كثيراً مما نسب إلى إدريس (عليه السلام) في كتب التاريخ أو الأسفار المنسوبة إليه لم تُؤيد بنقل صحيح، ولم يعضدها نصٌ قاطعٌ نشهد به أن الله تعالى صنعه لعبده ونبيه إدريس عليه الصلاة والسلام، وكلها أقوالٌ لا بأس بالاطلاع عليها كما يطلع المرء على غيرها من السير التي هي أشبه بالخرافات، وأهل التاريخ لا يجدون في بحوثهم ما يؤيد هذه الأخبار، بل يجدون ما يناقضها من العلم بأسماء الأهرام والملوك الأولين الذين قاموا بالدولة في مصر مثل مينا وخوفو ومنقرع وغيرهم من الذين شيدوا المعابد وحفروا في الجبال، ونقشوا عليها ما هو ماثلٌ اليوم، وذلك كله بخطوطٍ خاصة يقرأونها ويفسرونها [58].

ثانياً: هل إدريس (عليه السلام) قبل نوح (عليه السلام) أم بعده؟

اختلف المفسرون و الأخباريون في زمان بعثته إدريس (عليه السلام) فذهب جمهور العلماء إلى أنه كان بعد آدم وقبل نوح، فهو عندهم النبي الثاني من حيث الوجود التاريخي، وعندما يعدّون الأنبياء يعدونهم هكذا: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح وهكذا، ولا يملك هؤلاء دليلاً على أنه كان بعد آدم وقبل نوح، إذ لا دليل من القرآن صريحاً ولا حديثاً مرفوعاً صحيحاً، ولو وجد

---

[56] قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص 54.

[57] نظرات في أحسن القصص، محمد السيد وكيل، (67/1).

[58] قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص 55.

ذلك الدليل لما وقع الخلاف. وذهب آخرون من العلماء المحققين إلى أن إدريس (عليه السلام) متأخرٌ في الزمان، وأنه من أنبياء بني إسرائيل، وقد يكون بعد داود وسليمان عليهم السلام[59].

وهذا ما ذهب إليه الدكتور صلاح الخالدي (رحمه الله) ورجحه، وذكر بعض الأدلة على ذلك حيث قال: ومن الأدلة على هذا الترجيح أن القرآن أشار إلى قصته في سورة مريم بعد إبراهيم وموسى وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام، وكذلك كان الحديث عنه في سورة الأنبياء متأخراً بعد الحديث عن إبراهيم ولوط وداود وسليمان وأيوب، وبعده كان الحديث عن يونس وزكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، والآية التي تحدثت عنه قرنته مع إسماعيل وذي الكفل مما يوحي بأنه كان بعد إسماعيل وقبل ذي الكفل والله أعلم.

ومما يدل على أنه كان متأخراً في كتب التاريخ وأنه يُبعث إلى أجيالٍ متأخرة من بني إسرائيل، حديث المعراج الذي سجل تحية إدريس لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فمما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أنه لما مرّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على آدم في السماء الأولى وسلّم عليه، رد آدم (عليه السلام) وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. ولما حيّا عيسى (عليه السلام) في السماء الثانية، ردّ التحية وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، ولما حيّا يوسف (عليه السلام) في السماء الثالثة، ردّ عليه التحية وقال له: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. ولما حيّا إدريس (عليه السلام) في السماء الرابعة، ردّ عليه التحية وقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، ولما حيّا هارون (عليه السلام) في السماء الخامسة، ردّ عليه التحية وقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، ولما حيّا إبراهيم (عليه السلام) في السماء السابعة، رد عليه التحية وقال: مرحباّ بالنبي الصالح والابن الصالح[60].

والشاهد في الحديث أن آدم وإبراهيم عليهما السلام خاطبا محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالبُنوة، وقالا له: "مرحباً بالابن الصالح"، وذلك لأن آدم هو أبو البشر، وإبراهيم هو أبو الأنبياء، بينما

---

[59] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (92/4).

[60] المصدر نفسه، (94/4).

الأنبياء الخمسة، عيسى ويوسف وإدريس وهارون وموسى عليهم السلام، خاطبوا محمداً بالأخوة وقالوا له: "مرحباً بالأخ الصالح"، وهذا يوحي بأن إدريس متأخرٌ في الزمان، فلو كان بعد آدم وقبل إبراهيم لقال له كما قالا له: "مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح"[61].

وقال الدكتور صلاح الخالدي –رحمه الله–: وممن قال بأنّ بعثة إدريس (عليه السلام) كانت متأخرة وليست متقدمة قبل نوح (عليه السلام)، القاضي أبو بكر بن العربي، فقد نقل الإمام القرطبي في تفسيره عن القاضي ابن العربي قوله: ومن قال إن إدريس كان قبل نوح من المؤرخين فقد وهم، والدليل على صحة وهمه الحديث الصحيح في الإسراء، حين لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) آدم وإدريس، فقال له آدم: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وقال له إدريس: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، فلو كان إدريس أباً لنوح لقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، فلما قال له: والأخ الصالح، دلّ على أنه يجتمع معه في نوح صلوات الله عليهم أجمعين، ولا كلام لمنصفٍ بعد هذا[62].

هذا ما يمكن أن يقال في قصة إدريس (عليه السلام) اعتماداً على الآيات والأحاديث، وعند ترك الإسرائيليات أو اعتماد شيء منها وما سوى ذلك مما فصّلت فيه الإسرائيليات، فهو عندنا من مبهمات القرآن التي يجب أن نبقيها على إبهامها، فمن المبهمات في قصة إدريس (عليه السلام) نسبه وتحديد الزمن الذي بعث فيه، والقوم الذين بعث إليهم، وعمره عندما بعث، والكتاب الذي أنزل عليه، وتفاصيل ما جرى بينه وبين قومه، وكيف كانت نهايته، وأين وكيف كانت وفاته، وتحديد الذين آمنوا به من قومه، وتحديد نهاية الذين كفروا من قومه، كل هذه المبهمات لا نخوض فيها لأنه لم يرد عليها دليل في الآيات الصريحة والأحاديث المرفوعة

---

[61] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (94/4).

[62] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (94/4). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (232/7).

الصحيحة، فعلينا أن نبقى مع القرآن والحديث الصحيح نقول بما قالا به، ونسكت عمّا سكتا عنه، ويسعنا في ذلك ما وسع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[63].

وأما رأي الشيخ مصطفى العدوي، فقد قال: ويُلاحظ أن إدريس لم يرد ذكره في آيات سورة الأنعام التي جمعت عدداً من الأنبياء، ثمانية عشر نبياً، ومن ثمّ فإنه لم يرد ضمن المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: 83-84]. فلم يذكر إدريس (عليه السلام) ضمن الأنبياء، وعلى أيّة حال أعاد الضمير في قوله "وَمِن ذُرِّيَّتِهِ" على إبراهيم أو على نوح عليهما السلام، فلم يذكر إدريس (عليه السلام)، فهو يقوّي قول من قال إنه ليس من ذرية نوح ولا من ذرية إبراهيم، فمن ثمّ فهو من ذرية آدم قبل نوح وإبراهيم، ومن ثمّ فإنه –والعلم عند الله– أول نبي بعد آدم، وأما نوح فهو أول رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض[64].

وبالنسبة لرأي الدكتور عقيل حسين عقيل، قال: ليس هناك نصٌ يدل على أنه بعد نوح عليهما الصلاة والسلام، وليس هناك دليلٌ يدل على أنه قبل نوح عليهما الصلاة والسلام، وإدريس (عليه السلام) ثبتت نبوته بالنص القرآني، وطالما أنه نبي وَجب أن يكون من الذرية التي بعضها من بعض في الاصطفاء، ولم يذكر أنه اصطفي مفرداً، كما ذكر آدم ونوح عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وإذا لم يذكر في الاصطفاء مفرداً، لا بدّ أن يكون مصطفى ضمن الآل.

- هو لآل إبراهيم أقرب منه لآل عمران.
- ذُكر مرتين يتقدمه فيهما إسماعيل.

---

[63] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (95/4).

[64] قصة آدم وحواء وإدريس ونوح وهود وصالح، مصطفى العدوي، (201/1).

- مرة جاء مع إسماعيل كل منهما مفرداً في آية، ومرة جاء بعد إسماعيل وقبل ذي الكفل في الآية نفسها، وذكر الأنبياء في القرآن الكريم متسلسلٌ في الزمن إما تصاعدياً وإما تنازلياً.
- في الآية التي ذكر فيها مع إسماعيل وذي الكفل، جاء ذكره بينهما.
- إن كان الذكر تصاعدياً فهو بعد ذي الكفل وقبل إسماعيل.
- إن كان الذكر تنازلياً فإسماعيل قبله.
- معلوم أن ذا الكفل من أنبياء بني إسرائيل، وإن اختلف في اسمه.

وعلى ما تقدم فإن إدريس عليه الصلاة والسلام على احتمالين:

إما أن يكون قبل نوح وإما أن يكون بعده، فإن كان قبل نوح عليهم الصلاة والسلام وجب ذكره تنصيصاً في الاصطفاء، كم نص الاصطفاء على آدم ونوح، أي أن يقال: إن الله اصطفى آدم وإدريس ونوحاً، وهنا يكون القول الفصل وتنتهي القصة.

ولما لم يذكر إدريس نصاً في الاصطفاء، فقد دخل الآل المصطفين كونه نبي، ولما كانت الآية على ما هي عليه، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33]، دخل اصطفاؤه في جملة الآل، وهذا يعني أنه بعد نوح عليهم الصلاة والسلام.

ففي سورة مريم عند ذكر الأنبياء الذين وردت أسماؤهم، يبدأ الذكر برأس الآل، بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وبعد ذلك في الآيات التالية يذكر الله تعالى الوهب الذي وهبه لإبراهيم، وهو إسحاق ثم تلاه يعقوب فموسى فهارون، وهذا الفرع الأول من الذرية التي بعضها من بعض، والتي يدخل فيها آل عمران ومريم وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فيتوقف عن ذكر ذرية السلسلة عند هارون، ثم ينتقل إلى إسماعيل بقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 54]، ومعلوم

أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الفرع الموازي لآل عمران من إسحاق، وهو الابن الأكبر لإبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وبعد أن يورد الله تعالى بعض صفات إسماعيل يأتي على ذكر إدريس بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56]، وهذا الذكر في السلسلة الثانية وهم الآل المنحدر من إبراهيم إلى إسماعيل إلى محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ورجّح الدكتور عقيل بعد مناقشة مستفيضة أن إدريس (عليه السلام) بعد إبراهيم (عليه السلام)، وأنه من آل إبراهيم، واستدل في نهاية المطاف بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 26]، وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: 27][65].

قال الدكتور عمر إيمان أبو بكر:

ليس بين آدم ونوح رسول، وقد أدخل بينهما إدريس (عليه السلام)، كما فعله كثير من المؤرخين، وهذا لا دليل يعتمد عليه في صحته، بل إنَّ هناك جملة من الأدلة تدل على أنَّ نوحاً (عليه السلام) هو أول الرسل بعد آدم (عليه السلام)، ومن تلك الأدلة:

1. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: 26].

إن هذه الآية صريحة في أنَّ جميع الأنبياء والرسل هم من ذرية نوح (عليه السلام)، وإبراهيم من ذرية نوح (عليه السلام)، فإذا ثبت بالإجماع أنَّ إدريس من الأنبياء بنص قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ

[65] صفات الأنبياء من قصص القرآن .. إدريس ويعقوب ويوسف، د. عقيل حسين عقيل، ص20-25.

فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴿٥٧﴾﴾ [مريم: 56-57] ، تعيَّن أن يكون إدريس من ذرية إبراهيم، ثم من ذرية نوح عليهم السلام[66] .

وهذه الآية تبين وحدة الرسالة في رجالها، فهم من ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام، فهي شجرة واحدة باسقة متشابكة الفروع، فيها النبوة والكتاب، وممتدَّة من فجر البشرية منذ نوح، حتى إذا انتهت إلى إبراهيم، تفرَّعت وامتدت وانبثقت النبوات من ذلك الفرع الكبير الذي صار أصلاً باسقاً ممتداً إلى آخر الرسالات، فأما الذرية التي جاءتها النبوات والكتب فلم تكن على شاكلة واحدة، ﴿ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: 26]، وهو تلخيص قصير لذلك الخط الطويل[67] .

2. قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: 163].

وهذه الآية تفيد أن جميع النبيين هم من بعد نوح (عليه السلام)، وبهذا تستقيم الآيتان في إثبات أن جميع الأنبياء هم من ذرية نوح عليه السلام[68] .

وجاءت الآية هكذا: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: 163-165].

فهو إذن موكب واحد يتراءى على طريق التاريخ البشري الموصول، ورسالة واحدة بهدي واحد للإنذار والتبشير، موكب واحد يضمُّ هذه الصفوة المختارة من البشر، وقد ابتدأت الآية بنوح

---

66 عمر إيمان أبو بكر، المرجع السابق، ص 6.

67 سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة، ط 38، 1430هـ ، 2009م ، 3495/6.

68 عمر إيمان أبو بكر، قصة نوح عليه السلام، المرجع السابق، ص 6.

(عليه السلام) وبيَّنت أن النبيين جاؤوا من بعده، فنوح (عليه السلام) وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب، ويونس وهارون وسليمان وداود وموسى ... وغيرهم ممن قصَّهم الله على نبيه ﷺ في القرآن الكريم، وممن لم يقصصهم عليه.

إنَّه موكب من شتى الأقوام والأجناس، وشتى البقاع والأرضين في شتى الآونة والأزمان، لا يفرقهم نسب ولا جنس ولا أرض ولا وطن ولا زمن ولا بيئة، كلهم آتٍ من ذلك المصدر الكريم وكلهم يحمل ذلك النور الهادي، وكلهم يؤدي الإنذار والتبشير، وكلهم يحاول أن يأخذ بزمام القافلة البشرية إلى ذلك النور، سواء منهم؛ من جاء لعشيرة، ومن جاء لقوم، ومن جاء لمدينة، ومن جاء لقطر، ثم من جاء للناس أجمعين، محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين.

فكل الرسل تلقوا الوحي من الله، وما جاء أحدهم بشيء من عنده، وإذا كان الله قد كلم موسى تكليماً، فهو لون من الوحي لا يعرف أحد كيف كان يتمّ؛ لأن القرآن الكريم – وهو المصدر الوحيد الصحيح الذي لا يرقى الشك إلى صحته– لم يفصِّل لنا في ذلك شيئاً، فلا نعلم إلا أنه كان كلاماً ولكن ما طبيعته؟ وكيف تمَّ؟ وبأية حاسة أو قوة كان موسى يتلقاه؟ فكل ذلك ضرب من الغيب لم يحدثنا عنه القرآن، وليس وراء القرآن – من هذا الباب– إلا أساطير لا تستند إلى برهان.

أولئك الرسل – من قصَّ الله على رسوله منهم ومن لم يقصص– اقتضت عدالة الله ورحمته أن يبعث بهم إلى عباده يبشرونهم بما أعدَّه الله للمؤمنين الطائعين من نعيم ورضوان، وينذرونهم بما أعدَّه الله للكافرين العصاة من جحيم وغضب، كل ذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

ولله الحجة البالغة في الأنفس والآفاق، وقد أعطى الله البشـــر من العقل ما يتدبرون به دلائل الإيمان في الأنفس الآفاق، ولكنه سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده، وتقديراً لغلبة الشهوات على تلك الأداة العظيمة التي أعطاها لهم – أداة العقل– اقتضـــت حكمته ورحمته أن يرســـل إليهم الرســـل (مبشـــرين ومنذرين)، يذكّرونهم ويبصّـــرونهم ويحاولون اســـتنقاذ فطرتهم وتحرير عقولهم من ركام الشـــــهوات، التي تحجب عنها أو تحجبها عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان في الأنفس والآفاق ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

عزيزاً: قادراً على أخذ العباد بما كســـبوا[69] ، حكيماً: يدبر الأمر كله بالحكمة، ويضـــع كل أمر في نصابه، والقدرة والحكمة لهما عملهما فيما قدَّره الله في هذا الأمر وارتضاه[70] .

3. إن الله سرد قصص عدد من الرسل في سورة مريم، وذكر من بينهم إدريس (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴿٥٧﴾﴾ [مريم: 56-57]، ثم عقَّب ذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: 58].

وهذا من أقوى الأدلة على كون إدريس من ذرية نوح، ووجه دلالة الآية على ذلك أنَّ قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾ إشارة إلى أولئك الرسل الذين ذكرت قصتهم قبل الآية، ومنهم إدريس السلام عليه الذي هو آخرهم في الذكر، فدلَّ ذلك على أنَّ كل من ســـبق ذكرهم من الأنبياء هم من ذرية نوح، بل ومن ذرية إبراهيم[71] .

69 السيد قطب، في ظلال القرآن، 806/2.

70 السيد قطب، المرجع السابق ، 2/ 806.

71 عمر إيمان أبو بكر، قصة نوح عليه السلام، ص 7.

ولا نملك نحن تحديد زمان إدريس، ولكن الأرجح أنه من ذرية نوح وإبراهيم – عليهما السلام – وليس من أنبياء بني إسرائيل، فلم يرد ذكره في كتبهم، والقرآن يصفه بأنه كان صديقاً نبياً، ويسجل له أن الله رفعه مكاناً علياً، فأعلى قدره ورفع ذكره وعلى أية حال فنحن نكتفي بما جاء في القرآن الكريم، ونرجّح أنه سابق على أنبياء بني إسرائيل[72]، وأنه من ذرية نوح عليه السلام.

ويقف السياق في هذا الاستعراض عند المعالم البارزة في صفحة النبوة في تاريخ البشرية "من ذرية آدم"، "وممن حملنا مع نوح"،" من ذرية إبراهيم وإسرائيل"، فآدم يشمل الجميع، ونوح يشمل من بعده، وإبراهيم يشمل فرعي النبوة الكبيرَين، ويعقوب يشمل شجرة بني إسرائيل، وإسماعيل وإليه ينتسب العرب ومنهم خاتم النبيين.

أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتبى من الصالحين من ذريتهم، فصفتهم البارزة: "إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً"، فهم أيضاً شديدو الحساسية بالله ترتعش مشاعرهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج نفوسهم من تأثُّر، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرُّون سجَّداً وبكياً[73] .

هذا ويتأكد أن إدريس (عليه السلام) من ذرية نوح – (عليه السلام) – أنه كلما جاء ذكر نوح مع غيره من الرسل – عليهم السلام – يتمُّ التنبيه على أسبقيته عليهم في معظم السور التي ذُكرت فيها قصة نوح مع غيره، ففي:

– سورة الأنعام: ﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ [الأنعام: 84].

72 في ظلال القرآن، 4/ 2313.

73 المرجع نفسه ، 4/ 2314.

- وفي سورة التوبة: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [التوبة: 70] .
- ومثلها في سورة غافر: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ [غافر: 5].
- وفي سورة الذاريات: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذاريات: 46].
- وفي سورة النجم: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴾ [النجم: 52].

في حين أنَّ إدريس (عليه السلام) لم يُذكر بالقبلية على غيره من الأنبياء ولو مرة واحدة، ولو كان ذلك واقعاً لوُصف بذلك كما هو الحال في شأن نوح عليه السلام[74].

4. ما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: "نعم، مُكلَّم"، قال: فكم بينه وبين نوح؟ قال: "عشرة قرون"[75] . وأخرجه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين آدم ونوح عشرة قرون[76] .

ووجه دلالة هذه الآثار أن إدريس (عليه السلام) لم يكن قبل نوح (عليه السلام)، وقد قرنت نوحاً بآدم عليهما السلام في تحديد المدة بينهما، وذلك دليل على أن ليس بينهما رسول آخر، ولو كان بينهما إدريس (عليه السلام) لذكر هو بدلاً من آدم (عليه السلام)، ولم يسكت عنه في جميع النصوص السابقة.

5. قول أهل الموقف – يوم القيامة في الحديث الصحيح – "أنت أول الرسل إلى أهل الأرض". فهذا الحديث – وهو في الصحيحين– يفيد أن نوحاً لم يسبقه رسول بعد آدم عليه السلام.

74 عمر إيمان أبو بكر، قصة نوح (عليه السلام) ص 7.

75 صحيح ابن حبان ، 421/25.

76 المستدرك على الصحيحين، 8/ 324، حديث صحيح على شرط البخاري.

6. إنَّ ابن كثير – وهو ممن قدَّم إدريس على نوح في البداية والنهاية اعتماداً على ما اشـــتهر عند المؤرخين تشـكك في صـحة تقديم إدريس على نوح، فقال وهو يسـرد نسـب نوح هو نوح بن لامك بن متوشـــلخ بن خَنُوخ، وهو إدريس النبي (عليه الســـلام) فيما يزعمون[77]، فقوله "فيما يزعمون": دليل على أنَّ تقديم إدريس على نوح عليهما السلام في نظره لا يعد أن يكون مجرد زعم، والزعم كما قالوا: هو مطية الكذب.
7. إنَّ ابن كثير مع تقديمه إدريس (عليه الســـلام) في الترجمة على نوح (عليه الســـلام) إلا أنه عدل عن ذلك، وصـــرح بخلافه في كتاب التفســـير، فقال في قوله تعالى: ﴿شَـــرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْـــرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَـــاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]. قال رحمه الله: فذكر أول الرسل بعد آدم، وهو نوح (عليه الســـلام) وآخرهم هو محمد ﷺ[78]. وهذا منه تصـــريح أنه يرى أن نوحاً هو أول الرســـل بخلاف ما صنعه في التاريخ فإنه قد قلَّد المؤرخين في ذلك[79].
8. في صـــحيح البخاري من حديث أنس رضـــي الله عنه أنَّ النبي ﷺ حين مرَّ بإدريس (عليه السلام) في السماء الرابعة، قال له إدريس: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح[80] . ولم يقل له كما قال له آدم وإبراهيم عليهما الســـلام مرحباً بالنبي الصـــالح والابن الصـــالح، فلو كان

77 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، دار الحديث، القاهرة، 1415هـ، 1994م، 3/ 431.

78 المرجع السابق، 194/7.

79 عمر إيمان أبو بكر، قصة نوح عليه السلام، ص 9.

80 محمد إسماعيل البخاري (ت: 256 هـ)، صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، رقم 3598.

إدريس هو الخنوخ: الذي هو الجدُّ الأعلى لنوح (عليه السلام)، لكان هو أيضاً الجد الأعلى للنبي ﷺ، ويسلِّم على النبي ﷺ بما سلَّم عليه كلٌّ من آدم وإبراهيم عليهما السلام[81] .

وبهذا يتضـــح خطأ من قال إنَّ إدريس بين نوح وآدم (عليهم الســـلام جميعاً)، وثبت أنَّ نوحاً (عليه الســـلام) هو أول الرســـل[82]، كما أنَّ الاختلاف في تقديم نوح على إدريس، أو إدريس عليه لا يترتب عليه محذور شـــرعي طالما أن الجميع متفقون على أنهما من الأنبياء والمرســـلين، ولكن لا يليق بعالم أن لا يلتفت إلى كل تلك الأدلة من النصوص الشرعية في تقديم نوح على إدريس عليهما الســلام ثم يعتمد على ما ذكره المؤرخون الذين جُلُّ اعتمادهم في ترتيب الأنبياء على ما في كتب بني إسرائيل المحرفة[83].

81 عمر إيمان أبو بكر، قصة نوح (عليه السلام) ص 9.

82 المرجع السابق، ص 9.

83 المرجع نفسه، ص 10.

المبحث الثاني: إدريس (عليه السلام) في سورة مريم

ورد ذكر إدريس (عليه السلام) في القرآن الكريم في سورة الأنبياء وفي سورة مريم، وقد جاء ذكر إدريس (عليه السلام) في سورة مريم بعد قصة عيسى وإبراهيم وموسى وهارون عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 56-58].

تفسير الآيات الكريمة:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾:

1-﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾، والأمر هنا صريحٌ لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يذكر إدريس (عليه السلام)، وهذا الأمر ينطبق على كل مسلم ذاكرٍ متذكرٍ من بعده، والمراد بالكتاب في قوله تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾، القرآن، كتاب الله الذي أنزله على رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، والذي أخبره فيه عن قصص أنبياء السابقين، وقد سبق هذه الآيات قوله في التذكير بقصة إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 41]، وقوله تعالى في التذكير بموسى عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 51]، وقوله تعالى في التذكير بإسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54][84]، أيّ أن الله أمر نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يذكر في القرآن كلّاً من إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس (عليهم السلام).

[84] القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، (86/4).

وكان الكلام قبل ذلك عن قصة ولادة ونبوة عيسى بن مريم (عليه السلام)، وذِكرُ هؤلاء الأنبياء الخمسة في صورة مريم لتقرير حقيقة نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولإقامة الحجة على الطوائف الموجودة زمن النبي عليه الصلاة والسلام، وهم اليهود والنصارى والعرب المشركون.

إبراهيمُ (عليه السلام) أبو الأنبياء وكل الطوائف الثلاثة تدّعي الانتساب إليه والإيمان به، وموسى (عليه السلام) نبي اليهود، وعيسى (عليه السلام) نبّي النصارى، وتذكير الطوائف الثلاثة بهؤلاء الأنبياء وذكر طرفٍ من أخبارهم في القرآن دليلٌ على نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى أن القرآن كلام الله[85].

2- ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: وقد وَصفت الآية إدريس (عليه السلام) بوصفين: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾، وهما الوصفان اللذان وُصف بهما إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41]، فإبراهيم صدّيقٌ ونبي، وإدريس صدّيقٌ ونبي، عليهم الصلاة والسلام. ومقام "الصدّيقية" مقامٌ عظيم للمقربين عند الله تعالى، وصف الله نبيّيه الكريمين إبراهيم وإدريس (عليه السلام)، ووصف به يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ [يوسف: 46]، وهذا مقام قد يصل إليه السابقون من المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: 19].

و"الصدّيق" مبالغةٌ من الصدق والتصديق، فالصدّيق صادقٌ أولاً في قوله وفعله، وهو صديقٌ لكل صادق، بينهما صداقة ومودة، ثم هو صدّيقٌ دائم الصدق والصداقة والتصديق، وكل نبيٍ صِديق، لأنه صادقٌ وصديقٌ وصدّيق، ومعلوم لدينا أن "الصديق" لقبٌ شريفٌ مبارك، أجمع المسلمون على إطلاقه على أفضل الناس بعد الأنبياء، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه[86].

إن الصدّيقَ هو الذي بلغ الغاية في تصديق الحق، فيُورثه الله شفافيةً وإشراقاً بحيث يهتدي إلى الحق ويميزه عن الباطل من أول نظرةٍ في الأمر دون بحث وتدقيق في المسألة، لأن الله تعالى يهبُكَ

[85] القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، (87/4).

[86] المصدر نفسه، (87/4).

النور الذي يبدد عنك غيوم الشكّ، ويهبك الميزان الدقيق الذي تزن به الأشياء، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29][87].

ومن هنا سمّي أبو بكر الصدّيق (رضي الله عنه) صدّيقاً، ليس لأنه صادق في ذاته فقط، بل لأنه يصدّق كل ما جاءه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولقد وَصَف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيدنا أبا بكر بالصدّيقية، ولقد كان سيدنا أبو بكر صادقاً لا يكذب، وكان يسارع إلى تصديق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في كل ما يخبر به، وكان يسارع إلى العمل بما تقتضيه الأخبار إن كانت تقتضي عملاً، وكان وصف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لسيدنا أبي بكر بالصدّيق في مكة قبل الهجرة بمناسبة حادثةٍ معينةٍ هي حادثة الإسراء، وذلك حين أخبروا أبا بكرٍ بخبر الإسراء والمعراج الذي كذّب به كثيرون، فكانت ردوده: ماذا قال؟ أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدّقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يُصبح؟ قال: نعم، إني لأصدّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء في غدوةٍ أو روحة. ولذلك سُمّي أبو بكر الصدّيق[88].

إن الأمر عنده متوقفٌ على مجرّد قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فهذا هو الميزان عنده، وطالما أن رسول الله قد قال فهو صادق هكذا دون جدال ودون نقاش ودون بحث في ملابسات هذه المسألة، لذلك عُرف من يومها بأنّه الرجل الصدّيق عن جدارة[89].

كان إدريس (عليه السلام) "صدّيقاً"، وكان أيضاً "نبيّاً"؛ لأن الإنسان قد يكون صدّيقاً يعطيه الله شفافيةً خاصة، وليس من الضروري أن يكون نبيّاً، كما كانت مريم الصدّيقة عليها السلام، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75]، أيّ مصدّقةٌ للأنبياء مؤمنة بهم، قال تعالى في سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ

---

[87] تفسير الشعراوي، (9092/15).

[88] المصدر نفسه، (9092،9093/15).

[89] المصدر نفسه، (9093/15).

ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12]، فالصدّيقية صفةٌ ذاتية إشراقية من الله، أما النبوّة فهي عطاءٌ وتشريع يأتي من أعلى، وهدىً يأتي من الله يحمِلُ النبي مسؤوليته[90].

إن الله عز وجل جمع لإدريس (عليه السلام) بين الصدّيقية الجامعة للتصديق التام والعلم الكامل واليقين الثابت والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه واختياره لرسالته، والنبي هو من بُعث لتقرير شرعٍ من قبله، والنبوة هي السفارة بين الله وبين ذوي العقول لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم[91].

ويقول الراغب الأصفهاني في سبب التسمية: ويُسمى نبيّاً لرفعة محلّه على سائر الناس، المدلول عليه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57][92]. وحقيقة النبوة اتصالٌ بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، وسفارة بين الملك المالك الواحد الأحد وعبيده، ودعوةٌ من الرحمن الرحيم تبارك وتعالى لخلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وينقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهي نعمةٌ مهداة من الله تبارك وتعالى إلى عبيده، وفضلٌ إلهي يتفضّل به عليهم، وهذا في حقِّ المرسَل إليهم، وأما في حق المرسَل نفسه فهي امتنان من الله يمنّ بها عليه، واصطفاءٌ من الربّ له من بين سائر الناس، وهبةٌ ربانية يختصه الله بها من بين الخلق كلهم، ولا تُنال النبوة بعلمٍ ولا رياضة، ولا تُدرك بكثرة طاعةٍ ولا عبادة، ولا تأتي بتجويع النفس أو إظمائها، كما يظن من في عقله بلادةً، وإنما هو محض فضلٍ إلهي، واصطفاء رباني، فهو جلّ وعلا كما أخبر عن نفسه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: 74].

إن النبوة لا تأتي باختيار النبيّ، ولا تُنال بطلبه، ولذلك مما قال المشركون: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31]، فأجابهم الربّ تبارك وتعالى: ﴿أَهُمْ

---

[90] تفسير الشعراوي، (9093/15).

[91] تفسير السعدي، ص 646.

[92] مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 790.

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: 32]، فالله تعالى هو الذي يقسم ذلك ويتفضّل به على من يشاء من الناس، ويصطفي من يشاء من عباده ويختار من يشاء من خلقه، ما كانت الخيرةُ لأحدٍ غيره، وما كان الاختيار لأحدٍ سواه. إن الله عز وجل أكرم إدريس (عليه السلام) بمقام الصدّيقية والنبوّة، وذلك فضل من الله محض على عبده إدريس (عليه السلام)[93].

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾:

بعدما أثنى الله على إدريس بأنه صديقٌ نبي، أخبرنا بأنه رفعه عنده إلى مكان عليٍّ، والمكان العلي هو عالي القدر والمنزلة، وكل الأنبياء مكرّمون عند الله، وكلهم رفعهم الله إلى مقامٍ ومكان عليٍّ عنده سبحانه[94].

1- قال السعدي رحمه الله: أي: رفع الله ذكره في العالمين ومنزلته بين المقرّبين، فكان عالي الذكر وعالي المنزلة[95].

2- قال أبو زهرة رحمه الله: والرفعة هنا معنوية، والمكان المراد به منزلةٌ عليا، وقد زعم بعض المفسرين أن ذكر المكان يدل على أنها رفعة مادية، ولا نرى وجهاً لتخصيص ذكر المكان بالرفعة الحسّية، فإن ذلك تخصيص من غير مخصّص قام الدليل عليه، وإنما نقول: إنها نعمةٌ من الله تعالى على عبده ونبيه الصدّيق الأمين، لأمر اقتضى

---

[93] كتاب النبوّات، ابن تيمية، تحقيق عبدالعزيز الطويان، (20/1).

[94] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (88/4).

[95] تفسير السعدي، ص 646.

ذلك في علمه المكنون ولم يبيّنه لنا، فحقَّ علينا أن نقول ما نعلمه، ونسلم بصدق ما لم نعلمه، والله هو العليم المحيط بكل شيء علماً [96].

3- قال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله: مكاناً عالياً في السماء، رفعةٌ معنوية أو رفعة حسية، خذها كما شئت، لكن إياك أن تجادل: كيف رفعه[97]، لأن الرفعة من الله تعالى، والذي خلقه هو الذي رفعه، وقد رفع الله إدريس (عليه السلام) إلى السماء، بدليل إخبار رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن رؤيته له في السماء الرابعة ليلةَ المعراج [98].

روى الإمامان البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حدّث، أنه لما عُرج به إلى السماء قال: أتيتُ على إدريس (عليه السلام) في السماء الرابعة [99]. وهذه رواية مجّملة، نصّ فيها على أنه قابل إدريس (عليه السلام) في السماء الرابعة، وهناك رواية تذكر بعض ما جرى في السماء الرابعة، حيث روى البخاري ومسلم عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في حديث المعراج الطويل: ..... ثم صَعِدَ بي حتى السماء الرابعة فاستفتح، فقيل: من هذا؟

قال: جبريل.

قيل: ومن معك.

قال: محمد صلى الله عليه وسلم.

قيل: أَوقد أُرسل إليه؟

---

[96] زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة،، (4662/9).

[97] تفسير الشعراوي، (9128/15).

[98] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (88/4).

[99] االبخاري، رقم: 7517. مسلم، رقم: 162.

قال: نعم.

قيل: مرحباً به، فنعم المجيء جاء.

ففُتح، فلما خلصتُ فإذا إدريس، قال: هذا إدريس، فسلّمْ عليه، فسلّمت عليه، فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح[100].

هذا ولم يبيّن القرآن كيفية رفع إدريس إلى المكان العليّ، وإنزاله في السماء الرابعة، فلا نعرف تفصيل وكيفية ذلك الرفع، ولا نخوض فيه، علماً أن الإسرائيليات قد أوردت تفاصيل غريبةً منكرة باطلة عن ذلك، ونقل عنها بعض المفسرين سامحهم الله[101].

4- الراجح أن رفع إدريس ليس كرفع عيسى (عليهما السلام):

قال الدكتور صلاح الدين الخالدي (رحمه الله): وعندما ننظر في آيات القرآن فسوف نرى أنها أخبرت عن رفع نبيّين كريمين، هما إدريس وعيسى عليهما السلام، قال الله تعالى عن عيسى (عليه السلام): ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: 158-157]، وخاطب الله تعالى عيسى (عليه السلام) بقوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55]. وجمهور المسلمين أن الله رفع عيسى (عليه السلام) إلى السماء بروحه وجسمه، وذلك لما أراد اليهود والرومان صلبه، فحماه الله منهم ورفعه إلى السماء الثانية، وهو هناك حيٌّ بروحه وجسمه، وسينزل قبيل قيام الساعة، فهل كان رفع إدريس (عليه السلام) إلى السماء الرابعة هكذا؟

قال بهذا القول بعض المفسرين من التابعين، كمجاهد والحسن البصري والضحاك بن مزاحم، بل قال بهذا ابن عباس رضي الله عنهما، وقد أورد ابن كثير في التفسير، قال مجاهد: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: رفعه الله إلى السماء الرابعة فإدريس رُفع ولم يمت، كما رُفع عيسى عليهما السلام.

---

[100] البخاري، رقم: 3207. مسلم، رقم: 164.

[101] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (89/4).

والله أعلم كيف كان رفع إدريس (عليه السلام)، وما المراد بالمكان العليّ الذي رفعه الله إليه، وإن كنّا نرى فرقاً في التعبير القرآني عن رفع عيسى ورفع إدريس عليهما السلام، فلما أخبر عن رفع عيسى (عليه السلام) أتبَعَ الرفع بحرف الجرّ "إلى"، وذلك في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، وفي قوله سبحانه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، بينما لم يذكر حرف الجرّ "إلى" في رفع إدريس (عليه السلام)، وإنما ذكر ظرف المكان "مكاناً"، وهو مفعول فيه منصوب، ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ولعلّ هذا الفرق في الإخبار يوحي بأن رفع إدريس غير رفع عيسى عليهما السلام، فعيسى رُفِعَ رفعاً حقيقياً مادّياً، بروحه وجسمه إلى السماء الثانية –على قول جمهور المسلمين، ولهذا جاء بعد الفعل حرف "إلى" الذي يدلّ على مزيد من التخصيص والتكريم، ويوحي بالرفع المادي الحقيقي.

وإسقاط "إلى" من الإخبار عن رفع إدريس (عليه السلام) يوحي بأنّ رفعه ليس كرفع عيسى المادي، وإنما هو رفعٌ معنوي يقوم على رفع المنزلة والمقام، ولعل هذا يرجّح أن إدريس (عليه السلام) مات على الأرض موتاً طبيعياً كباقي الأنبياء، وهذا ما نرجحه والله تعالى أعلم[102].

5- اسم الله، الرافع، والعليّ، والأعلى، والمتعالي:

في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ﴾، فمن أسماء الله الحسنى، الرافع، وهو المعلي للأقدار، فهو الذي رفع أولياءه بالطاعة، فيعلي مراتبهم وينصرهم على أعدائه، ويجعل العاقبة لهم، لا يعلو إلا من رفعه الله ولا يتَّضِعُ إلا من وضعه وخفضه[103]. ففي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ﴾ أثرٌ من آثار اسم الله "الرافع" على إدريس (عليه السلام)، فأعلى قدره ورفع ذكره[104]. فالله عز وجل هو الراقع لأقوام

[102] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (91/4).

[103] المختصر في أسماء الله الحسنى، علي محمد الشيخ، ص 50.

[104] في ظلال القرآن، سيد قطب، (2313/4).

قائمين بالعلم والإيمان، والخافض لأعدائه، والخافض هو الواضع من الأقدار، الذي يخفض المتجبرين ويذلّ المتكبرين[105].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخمس كلمات، قال: إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، ولكن يخفض القسط ويرفعه، ويُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفها للأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه[106]. وقال أبو الدرداء في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، يغفر ذنباً ويكشف كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين[107].

ومن معاني الخافض الرافع:

الخافض، وهو الذي يخفض من يشاء من عباده، فينزل مرتبته، ويضع قدره، ويحط من شأنه، والرافع يرفع من يشاء من خلقه، فيُعلي مكانته ويزكّي قدره ويقدّم ذكره[108]. وفي قوله تعالى: ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾، أي أن الله العلي الأعلى المتعالي هو الذي أعلى قدر إدريس (عليه السلام) ورفع ذكره، فالعلو الكامل لله وحده، والعلو الدائم له وحده سبحانه، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: حقٌ على الله أن لا يرتفع شيءٌ من الدنيا إلا وضعه[109]. ومن علوه: أن جعل الرفعة والعلو لكتابه ولدينه ولأوليائه الصادقين[110]، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [طه: 68]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4]. وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين[111]. فالله العلي الأعلى المتعالي، وجميع معاني العلو ثابتةٌ له سبحانه، علو الذات، ولعو القدرة، وعلو القهر

---

[105] المختصر في أسماء الله الحسنى، علي محمد الشيخ، ص 50.

[106] مسلم، رقم: 179.

[107] المختصر في أسماء الله الحسنن علي محمد الشيخ، ص 51.

[108] المصدر نفسه، ص 51.

[109] البخاري، رقم: 2872.

[110] مع الله، سلمان العودة، ص 156.

[111] مسلم، رقم: 817.

والغلبة، وعلو الحجة، وقد جبلت الفطرة على الإيمان بعلوه، فلا نجد داعياً ولا مبتهلاً إلا ويتوجه بقلبه ووجهه ويديه إلى السماء[112].

ومع علوه سبحانه فهو قريبٌ مجيبٌ سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفياً، ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: 3]، ويخبر عن نفسه أنه يسمع السر وأخفى، وما هو أخفى من السر فهو الخطرات التي لا يَعيها صاحبها ولا يُدركها، والمعاني المكنونة التي لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه وذاته، فهناك عالم الأسرار، وهناك اللاشعور واللاوعي، وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوه واستوائه على عرشه محيطٌ بذلك كله، لا تخفى عليه خافية[113]، فسبحان الله الرافع الخافض العلي الأعلى المتعالي، الذي رفع إدريس (عليه السلام) بطاعته، وأعلى قدره وجعل له مكاناً علياً.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: ولكل مؤمن نصيبٌ من هذه الآية، فإذا عرفت الله واستقمت على أمره وأخلصت له، فلا بدّ من أن يرفعك الله عزّ وجل، ولا بدّ أن يُعلي قدرك ولا بدّ أن يطهّر اسمك، ولا بدّ أن يجعل قلوب الناس تهفو إليك[114].

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: قال الشوكاني رحمه الله: وقيل: إن المراد برفعهم كان علياً ما أُعطيه من شرف النبوة[115]. وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله: والمراد برفع المنزلة ما أوتيه من العلم الذي فاق به على من سلفه، و﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: رفع النبوة والتشريف والمنزلة العالية عند ربه في الجنة[116].

---

[112] مع الله، سلمان العودة، ص 155.

[113] مع الله، سلمان العودة، ص 156.

[114] تفسير النابلسي، (264/7).

[115] فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، (180/6).

[116] التحرير والتنوير، ابن عاشور، (85/7).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58]:

تفسير الآية الكريمة:

1-﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾: يقول تعالى: هؤلاء النبيون -وليس المراد بهؤلاء المذكورين في هذه السورة فقط، بل جنس الأنبياء عليهم السلام، استطرد في ذكر الأشخاص إلى الجنس[117]، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾، فمن بداية السورة خصّ الله تعالى بالثناء عدداً من رسله وأنبيائه الكرام، هم: ذكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم ويعقوب وإسحاق وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس عليهم السلام-، فهؤلاء جميعاً ذكروا في سورة مريم وكلهم من ذرية آدم عليه السلام. وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ استئنافٌ ابتدائي، واسم الإشارة "أولئك" يعود إلى هؤلاء الأنبياء العشرة وإلى علو مكانتهم وبُعد درجتهم في الفضل[118].

-﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾، أيّ: بالنعم الدينية والدنيوية، فقد أنعم الله تعالى عليهم بنعم لا تُلحق ولا تُسبق، لذا كان من الملائم إيثار لفظ الجلالة الجامع لصفات الكمال والجلال لإضافة جوٍ من المهابة، وكذلك الفخامة على إنعامه على هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم السلام، فبعد أن أثنى الله تعالى على كل واحدٍ ممن تقدّم ذكره من هؤلاء الأنبياء الكرام عليهم السلام بما يخصه من الثناء، ثم جمعهم آخراً فقال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾، أي بالنبوة وغيرها[119].

فالله عزّ وجل هو المنعم على عباده، ومنهم إدريس (عليه السلام) وغيره من الرسل الكرام، فقد أنعم عليهم نعماً لا تعدّ ولا تحصى، والآيات المتعلقة بإدريس (عليه السلام) أشارت إلى نعمة الصدّيقية والنبوة، وأنه رُفع إلى مكان علي، ونعم الله مطلقة وغير محدودة، حيث إنّ كلّ ما من

---

[117] تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، ص 221.

[118] تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، ص 222.

[119] تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، ص 223.

شأنه أن يُشبع حاجة مادية أو عقلية أو روحية أو نفسية أو ذوقية أو عاطفية، فهو نعمة، أي: كل ما يحقق الشفاء من المرض، والحفظ من الضلال، والانحراف عن الجادة، وينقذ غارقاً أو مضطراً بغاية الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح، والمستقبل الذي فيه الأمل الرفيع، فهو نعمةٌ، ولهذا فالنعم لا تحصى، ومع ذلك فإن الله المنعم هو القادر بالمطلق على تحقيق كل ذلك، وفقاً لما نحتسبه ووفقاً لما لا نحتسبه[120].

ومن نعمة الله على إدريس (عليه السلام) أنه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم: 56-57]. وقد تحدث الدكتور محمد المخزون في كتابه "المصطلحات في القرآن الكريم" عن مصطلح النعمة ومعانيه ومشتقاته في القرآن الكريم، فمن أراد التوسع فليرجع إليه[121].

-قوله تعالى: ﴿مِّنَ النَّبِيِّينَ﴾: "من" بيانيةٌ حيث جاءت بياناً للاسم الموصول "الذين"، وهذا من بيان العام، وهم "الذين أنعم الله عليهم" بالخاص، وهم النبيون، والمعنى: "أولئك المنعم عليهم هم النبيون".

2-﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾، وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالنبوة من ذرية آدم، ثم خصّ بعضهم بأنه من ذرية من حُمل مع نوح، وفي بقية الآية الكريمة ذكر لأصول هؤلاء الأنبياء، ذكرٌ للمنبع أو لأصل بيوت هؤلاء المنعم عليهم من الأنبياء، ذكرٌ لأهم المعالم البارزة في صفحة النبوة في تاريخ البشرية، فهؤلاء الكرام (عليهم السلام)، يجمعهم جميعاً أنهم من ذرية آدم (عليه السلام)، وهذا هو النسب العام أو أصل السلسلة النورانية التي تجمع بين هؤلاء الأنبياء (عليهم السلام)، ثم خصّ بعضهم بأنه من ذرية من حُمل مع نوح (عليه السلام)، وهو إبراهيم (عليه السلام)، فالآية الكريمة بينت وصول الشجرة هؤلاء الأنبياء جميعاً.

---

[120] إدريس وهود وصالح عليهم السلام من وحي القرآن، عقيل حسين عقيل، ص 45.

[121] المصطلحات في القرآن الكريم، محمد المخزون، (6/218-235).

-﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾: وآدم (عليه السلام) يشمل الجميع.

-﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: ونوح (عليه السلام) يشمل من بعده.

-﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾: وإبراهيم (عليه السلام) يشمل فرعي النبوة الكبيرين، وهما: ولداه إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام).

-﴿وَإِسْرَائِيلَ﴾: هو يعقوب بن إسحاق (عليهما السلام)، ومن ذريته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى (عليهم السلام)[122].

3-﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾، أي: هؤلاء ممن هداهم الله تعالى لعبادته واصطفاهم لنبوته ورسالته[123].

-﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾، يفهم من الآية الكريمة أن إدريس (عليه السلام) من الذين هداهم الله، بالدلالة عليه والمعونة والتأييد، فحمل راية التوحيد وإفراد الله بالعبادة ودعوة الناس إلى شريعة الله وهديه سبحانه.

-﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾، استخلفنا للرسالة والنبوة، وتفسير "واجتبينا": اخترنا واصطفينا[124].

4-﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، فإذا سمعوا آيات الله المتضمنة حججه وبراهينه ودلائله وبراهينه وشرائعه المنزلة سجدوا لربهم خضوعاً وامتثالاً لذاته، واستكانةً وانقياداً لأمره، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة وهم باكون خشيةً من الله ومن عذابه[125].

ولم يقل: سجدوا، بل سقطوا بوجههم سريعاً إلى الأرض. وهذا انفعال قسري طبيعي، لا دخل للعقل فيه ولا للتفكير، فالساجد يستطيع أن يسجد بهدوء ونظام، أما الذي يخرّ فلا يفكر في

---

[122] تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، ص 223.

[123] التفسير الموضوعي، (189/5).

[124] موسوعة التفسير المأثور، مساعد الطيار، (137/14).

[125] التفسير المنير، الزحيلي، (9129/15-9131).

ذلك، وهذا أشبه بقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 26]، أي: سقط عليهم فجأةً.

وهذا الانفعال يسمونه " انفعال نزوعي" ناتج عن الوجدان، والوجدان ناتج عن الإدراك، وهذه مظاهر الشعور الثلاثة: الإدراك ثم الوجدان، ثم النزوع[126]. وكذلك الحال فيمن تسمّع لطلام الله وقرنه يدرك القرآن بسمعه، فينشأ عنه حلاوة ومواجيد في نفسه، وهذا هو الوجدان الذي ينشأ عنه انفعال نُزوعي، فلا يجد إلا أن يخرّ ساجداً لله تعالى. والنزوع هنا لم يكن نزوعاً ظاهرياً، بل وأيضاً داخلياً، ففاضت أعينهم بالدمع ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58]، فهم أتقياء شديدو الحساسية بالله، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عمّا يخالج مشاعرهم من تأثر، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكيّاً للمنعم عليهم تقرباً إليه، لما لهم من البصائر المنيرة في ذكر نعمه عليهم وإحسانه إليهم[127].

أ-قال الجصاص رحمه الله: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 109]، ومثله قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، وفيه الدلالة على أن البكاء في الصلاة من خوف الله لا يقطع الصلاة لأن الله تعالى قد مدحهم بالبكاء والسجود، ولم يفرق بين سجود الصلاة وسجود التلاوة وسجدة الشكر، وروى سفيان بن عيينة قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن سعد، قال: سمعت عبدالله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر رضي الله عنه وإني لفي آخر الصفوف، وقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف حتى إذا بلغ ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ نشجَ ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، وقد كانوا خلفه فصاروا إجماعاً، وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، يعني بكاءهم في حال السجود يزيدهم خشوعاً إلى خشوعهم، وفيه الدلالة على أن مخافتهم لله

---

[126] تفسير الشعراوي، (15/9129-9131).

[127] البكاء والقيم الجمالية في النصوص القرآنية، قاسم صالح، ص 292.

تعالى تؤدي بهم إلى البكاء داعيةً إلى طاعة الله وإخلاص العبادة على ما يجب القيام بحقوق نعمه، والله الموفق[128].

ب-قال محمد بن محمد الحسيني في تفسير الآية الكريمة: هذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضا، فإن الله قرن السجود بآيات الرحمن، والرحمة لا تقتضي القهر والعظمة، وإنما تقتضي اللطف والعطف الإلهي، فدمعت عيونهم فرحاً بما بشرهم الله به من هذه الآيات، فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع، والدموع دموع فرحٍ لا دموع كمدٍ وحزن، لأن مقام الرحمن لا يقتضيه[129].

وجمع سبحانه بين السجود والبكاء بالنسبة لهم للإشعار بأنهم مع تعظيمهم الشديد لمقام ربهم، فهم أصحاب قلوب رقيقة، وعواطف جياشة بالخوف من الله تعالى، ليكون السجود رغبةً والبكاء رهبةً لأن الطاعة لا تخلص إلا بالرغبة والرهبة، وعبّر بالاسم في كل من السجود والبكاء، إشارةً إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلاً[130].

وفي إضافة الآيات إلى اسمه تعالى "الرحمن" دلالةٌ على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم، حيث هداهم بها إلى الحق[131]، وبصّرهم من العمى وأنقذهم من الضلالة وعلّمهم من الجهالة، وفيها أيضاً إشعارٌ بتأثرهم بآيات الرحمة التي تنزل من عند الرحمن، فهم يبكون لشعورهم برحمة الله تعالى بهم، ويسجدون على ما أنعم الله به عليهم، وذلك دأب الصالحين عند تلاوة آيات الله[132].

ويلاحظ المتدبر للآية الكريمة أنها أبرزت من صفاتهم فتين متلازمتين، هما:

- صفة الولادة التي تدل على الحدوث والضعف والعجز.

---

[128] أحكام القرآن للجصاص، (37/5).

[129] إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي، (519/4).

[130] تفسير الماوردي، (378/3). نظم الدرر، (544/4).

[131] تفسير السعدي، ص 646.

[132] تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، ص 646.

- وصفة الخضوع لله تعالى والخشية منه.

وهذا يؤكد عبوديتهم لله تعالى، وينفي عنهم أي صفةٍ من صفات الألوهية، وهذه الآية من آيات سجود التلاوة في القرآن الكريم، التي يسنّ فيها السجود لله تعالى عند تلاوتها أو سماعها[133]، وسجود التلاوة هو السجود الذي يؤدّى عند قراءة آية من آيات السجدة، وهي خمس عشرة آية في القرآن الكريم، ولها علامة تدل عليها[134].

واتفق الفقهاء على أن سجود التلاوة مشروعً للأدلة الواردة في شانه، ومنها هذه الآية[135]، قال ابن كثير: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حُججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعاً واستكانةً، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ها هنا، اقتداءً بهم واتباعاً لمنوالهم[136].

ج–قال الشنقيطي رحمه الله: وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، بين أن هؤلاء الأنبياء المذكورين إذا تتلى عليهم آيات ربهم بكوا وسجدوا، وأشار إلى هذا المعنى في مواضع أخر بالنسبة إلى المؤمنين لا خصوص الأنبياء، كقوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: 107-109] ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 83]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ

---

[133] التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، (190/5).

[134] الأحكام الفقهية من القصص القرآني، وليد الربيع، ص 373.

[135] شرح مسلم، ص 533.

[136] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (127/3).

تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 23]. فكل هذه الآيات فيها الدلالة على أنهم إذا سمعوا آيات ربهم تتلى تأثروا تأثراً عظيماً، يحصل ببعضهم قشعريرة الجلد ولين القلوب والجلود ونحو ذلك[137].

وعن عبد الله بن الشخير قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء[138]. وهذا الحديث دليلٌ على كمال خوفه وخشيته وخضوعه في عبوديته، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[139].

وقال صلى الله عليه وسلم: إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية[140]. رواهما البخاري.

وروى مسلم: والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[141]. قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار. فجمع بين علم اليقين وعين اليقين، فلمع له حق اليقين، والخشية أخص من الخوف، إذ هي خوف مقرون بتعظيم ناشئ عن معرفة كاملة[142].

هذا ما ذكره الله تعالى في سورة مريم عن موكب الأنبياء العظيم، وذكر منهم زكريا ويحيى وعيسى، وإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس، وذكرهم بصفاتهم الجميلة وأخلاقهم العظيمة، وخشيتهم لله وسجودهم وبكاءهم، ونعمه عليهم، وهاديته لهم وكيف اجتباهم واصطفاهم لدعوته سبحانه وتعالى.

---

[137] أضواء البيان، (230/5).

[138] سنن أبي داود، (557/1). سنن الترمذي، رقم: 904. في الشمائل، رقم: 276.

[139] البخاري، رقم: 6637. سنن الترمذي، رقم: 2313.

[140] البخاري، رقم: 20. مسلم، رقم: 1110.

[141] سنن النسائي، (92/3)، رقم: 1362.

[142] التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، محمد المغراوي، (464/20).

المبحث الثالث: إدريس (عليه السلام) في سورة الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: 85-86]. وهذه الآية: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ تضمّ حشداً من ثلاثة من الأنبياء الكرام عليهم السلام. وأيّة كرامة هي النبوة، وأيّة رحمة للإنسانية هم الأنبياء، وهذا خاتمهم :﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. وجاء الثلاثة عقب أيّوب (عليه السلام)، الذي كان رمز الصابرين، فختم الآية بوصفهم بهذه الصفة، وقال: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾. فالآيات نسق، أيّ نسق.

أولاً: المعنى:

لم يبيّن القرآن أين كان أيّ من هؤلاء الكرام، ولا إدريس، ولا ذو الكفل (عليهم السلام). وأمّا إسماعيل (عليه السلام)، فنعلم مما قصّ علينا القرآن، ولأنه عاش بيننا في جزيرتنا العربية، وأسهم في بناء البيت العتيق. ولا نعلم أزمنة إدريس أو ذي الكفل عليهم السلام. فهذا ليس يُبنى عليه عظة أو درس. والتعبير عن الزمن إمّا يقال قبل كذا، وهذه متجدّدة، فلكلّ جيل زمنهُ وقبيلته[143]. وإمّا أن تقيس الزمن بالنسبة لثابت من الثوابت، ففي العلم يقولون: هذا من العصر الحجري أو البرونزيّ. فلكل قوم حسابهم، فالصين لها سَنَتُها، وأمّتنا لها تقويمُها، والغرب لهم تقويمهم، ولبني إسرائيل تقويمهم. وكلّ قومٍ يحسبون بثابتٍ من ثوابت تاريخهم. والقرآن كتاب العالمين والأمم أجمعين؛ ولذا أطلق قَصَصه عن تحديد الزمن، فلم يقل قبل عشرة آلاف سنة كان النّبيّ فلان .. وهذه بعد ألف سنة؛ تصبح معلومة غير دقيقة. وعلى كلٍّ، فإنّ تحديد الزمن ليس من مقاصد القرآن، كتاب كلّ الأزمان، وكلّ بني الإنسان، إلى آخر الزمان[144].

---

[143] تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، ص 421.

[144] تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، ص 422.

قال السعدي رحمه الله: "أي: واذكر عبادنا المصْطَفَين، وأنبياءنا المرسلين، بأحسن الذكر، وأثنِ عليهم، أبلغَ الثناء...، فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد وصفهم الله بالصبر، فدلّ أنهم وفّوها حقّها، وقاموا به كما ينبغي. ووصفهم أيضاً بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، وصلاح اللسان، وصلاح الجوارح... فبصبرهم وصلاحهم؛ أدخلهم الله برحمته، ونوّه بذكرهم في العالمين، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً".

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله: "وجمَعَ هؤلاء الثلاثة في سلك واحد لاشتراكهم في خصيصيّة الصبر، كما أشارَ إليه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]".

وقال محمد الدُّرّة رحمه الله في كتاب (تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه): " فنفعُ الصبر مشهور، والحضّ عليه في الكتاب والسنة مقرّر مسطور. وهو على ثلاثة أنواع: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء، ولا تنسَ: أن من أسماء الله تعالى الصبور... والصبر المحمود: وهو أن يكون الإنسان صابراً لوجه الله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً في ذلك الصبر ثواب الله تعالى، محتسباً أجره على الله؛ فهذا هو الصبر الذي يُدخِل صاحبه رضوانَ الله"[145].

وقد ذُكر الصبر في القرآن الكريم في خمسة وتسعين موضعاً. ومن أجمعها في سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: 156-157] ، ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: 45] ، ومن آنقِها قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44]. قرن هاء الصابر بنون العظمة، ومن أبهجها قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: 23-24].

---

[145] المصدر نفسه، ص 422-423.

ثانياً: من دروس قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]:

- البشر يحتاجون دوماً إلى المثُل العُليا.
- الرسل عليهم السلام هم هذه المثل العُليا للبشر، والقدوات والأسوات.
- الصبر قيمةٌ عظيمة، والرسل الكرام عليهم السلام هم جميعهم مُثُل هذه القيمة العظيمة، ونماذجها المحتذاة.
- أيوب وإسماعيل وذو الكفل وإدريس عليهم السلام من قافلة الصابرين، ومن نماذج الصبر.
- لا نعرف عن إدريس وذي الكفل عليهما السلام آية تفاصيل؛ ولكن الله أراد أن يُخلّد أسماءهم في كتاب الخلود العظيم.. القرآن الكريم. يخصّ الله تعالى مَن يشاء في الموضوع الذي يشاء من كتابه الكريم، وعلينا اكتشاف الحكمة من وراء ذلك.
- يخصّ الله تعالى برحمته من يشاء من عباده، بما يعلمه من قلوب عباده وقرّبهم منه وحبّهم له، فيزيدهم من فضله.
- نفعُ الصبر مشهور، والحضّ عليه في الكتاب والسنة مقرّرٌ مسطور.
- للصبر أنواع ثلاثة: صبرٌ على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على البلاء.
- من عظمة الصبر، أن أحد أسماء الله تعالى هو الصّبور.

- الصّبر المحمود، أن يكون الإنسان صابراً لوجه الله تعالى، راضياً بما نزل به من الله، طالباً في ذلك الصبر ثواب الله تعالى، محتسباً أجره على الله، فهذا هو الصبر الذي يُدخل صاحبه رضوان الله[146].

ثالثاً: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 86]:

الربط والمناسبة:

هذا جزاء الصابرين الذين ذكرهم الله في الآية السابقة، وهم إسماعيل وإدريس وذو الكفل عليهم السلام. وختم بوصفهم ونعتهم، مثنياً عليهم: ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾. وفي هذه –كما سلف– ما كافأهم به من جائزة، أن أدخلهم في رحمته، وختم: ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ، فكان وصفهم قبل الجائزة وبعدها.

والمعنى: أدخلناهم: سلكناهم في سُرادق رحمتنا، وعددناهم في سجل المرحومين بهذه الرحمة، والمشمولين بها. وفي رحمتنا: فهم مستغرقون بهذه الرحمة، محفوفون بها من كل جانب ومن كل ناحية. وإنهم من الصالحين: هل هذا الوصف سبب أم نتيجة؟ أظن أنّ الأمر يصلح على الوجهين، وإن كان إلى كونه سبباً أقرب، والله أعلم وأحكم[147].

ومن الصالحين: المعدودين في قائمة الصالحين. والصلاح كلمة عامة ووصف شامل، يشمل صلاح العقيدة والعمل والخُلُق والمعاملة، وشؤونهم كلها.

رابعاً: من دروس قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 86]:

- هذا الدين رسالة إصلاح للبشرية والحضارة الإنسانية. وأوّل هذا الإصلاح: إصلاح الإنسان، الذي تقوم عليه الحضارة؛ فإذا صلح صلح الأمر كله، وإذا فسد، فسد الأمر كله.

---

[146] تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، ص 424.

[147] المصدر نفسه، ص 425.

- الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، هم رموز الإصلاح والمُثُل العليا، والنماذج الحسنة لهذا الإصلاح.

- رحمة الله بالصالحين المصلحين، تحفّهم من قبل ومن بعد، فبالرحمة صلحوا، وبالرحمة كافأهم مولاهم بالجنّات.

- من صفات العابدين: أنهم من قوافل الصّابرين، وهنا من قوافل الصالحين، فجمعت الآيات السابقة لهذه الآية معها صفاتهم العليا.

- صفات العابدين: ليست مقصورة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، بل كل من اتصف بها واقتدى بهم، أُلحق بقوافلهم.

- وصف الله لعباده بالصّلاح؛ شامل كامل، يشمل صلاح القلب وصلاح اللسان وصلاح الجوارح.

- بصبر الأنبياء وصلاحهم عليهم السلام، وأدخلهم الله برحمته، ونوّه بذكرهم في العالمين، وكفى بذلك شرفاً وفضلاً[148].

[148] تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، ص 426.

المبحث الرابع: إلياس (عليه السلام)، نسبه ومكان مولده وعصره عند المؤرخين، وحديث القرآن عنه

أولاً: نسبه ومكان مولده وعصره:

1- نسبه:

ذكر الطبري رحمه الله: أنه إلياس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[149]، وهناك من قال أنه إلياس النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)، وعلّق عليه ابن كثير وقال فيه نظر[150]. وقيل إنه من سبط يوشع، وهو قول القُتبيُّ فيما حكاه عنه ابن عساكر[151]، والقرطبي[152].

ولكن عطاء بن أبي رباح لم يجزم بسلسلة النسب المذكورة وإنما يرى أنه: ذرية إبراهيم عليه السلام. بدون الإشارة هل هو من بني إسرائيل أو من بني إسماعيل[153]، وخالفهم الضحاك، فهو يقول بأنه من ذرية إسماعيل عليه السلام[154].

وأما الآيات القرآنية فلا تدلّنا إلا على شيءٍ واحد وأصل عام لكل البشرية، لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84].

---

[149] تاريخ الطبري، (440/1).

[150] قصص الأنبياء، ص 438.

[151] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (369/2).

[152] تفسير القرطبي، (32/7).

[153] إلياس بني الفينيقيين، حسين علي الزومي، ص 37.

[154] المصدر نفسه، 37.

قال الواحدي رحمه الله: والعلماء بالنسب يقولون الكناية تعود إلى نوح، لأنه ذكر في جملة من عدّ من هذه الذرية يونسَ ولوطاً، ولا شكّ أنهما لم يكونا من ذرية إبراهيم[155].

وهذا هو ما دلت عليه الآية، فنخلص من ذلك إلى أن من نَسَبه إلى بني إسرائيل فليس له مستمسك لا من رواية صحيحة ولا نقل عن أهل الكتاب[156]. وتكاد تتفق كل الروايات والاجتهادات عند المفسرين على أنه كان من أنبياء بني إسرائيل، على خلاف بينهم في ترتيبه بين الأنبياء[157].

ورجح الدكتور صلاح الخالدي رحمه الله أنه من أنبياء بني إسرائيل مثل: ذي الكفل واليسع وإدريس ويونس وأيوب عليهم الصلاة والسلام[158]. وقال الرازي رحمه الله: وأما أكثر المفسّرين فهم متفقون على أنه نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل[159]. وقال البقاعي رحمه الله: كان أحد بني إسرائيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود وعكرمة[160]. كما أن الرواية المشهورة عن وهب بن منبه أنه قال: كان القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنا ثم حزقيل، ثم لما قَبض الله حزقيل النبي عَظُمت الأحداث في بني إسرائيل ونسوا ما كان من عهد الله إليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دونه، فبعث الله إليهم إلياس نبياً[161].

وهو ما اضطر جماعةً من المفسرين بأن يلزموا أنفسهم بوجود سبطٍ من أسباط بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا في "بعلبك"، وعلى المشهور من الروايات الإسرائيلية أن الذي أسكنهم هو يوشع

---

[155] التفسير الوسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (294/2).

[156] إلياس بني الفينيقيين، ص 37.

[157] المصدر نفسه، ص 37.

[158] القصص القرآني، صلاح الخالدي، (98/4).

[159] تفسير الرازي، (353/26).

[160] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (283/16).

[161] زاد المسيرفي علم التفسير، ابن الجوزي، (81/7).

بن نون (عليه السلام) حينما فتح الشام، وكان من ضمنها المدينة المعروفة اليوم ببعلبك[162]، وقسمها لبني إسرائيل وأحلّ سبطاً منها ببعلبك، وهم السبط الذين كان منهم إلياس[163].

وبعكس الشائع في أوساط المفسرين الذين تلقوا هذه الروايات بالقبول، يميل الباحث الدكتور حسين بن علي الزّومي صاحب أفضل كتاب كُتب عن نبي الله إلياس، وهو كتاب "إلياس نبيّ الفينيقيين": على حسب علمي واطلاعي بأن إلياس (عليه السلام) لم يكن من بني إسرائيل قط، وأن الصحيح أنه كان من قومه القاطنين بمدينة بعلبك[164].

و "إلياس" هو لفظٌ عربي قديم، ولفظة "إلياس" أو "الياسين" تعني آلاء الله تعالى ونعمه المستمرة الدائمة، ويعني أيضاً الانتماء الدائم المستمر وباستقامة وحتى النهاية مع الحق والانتماء للحق[165]، وقال الدكتور حسين بن علي الزّومي: الصحيح في اسم "إلياس" أنه بقطع الألف واشتقاقه من قولهم: رجلٌ أليس، أي شجاع، والألْيس: الذي لا يفرُّ ولا يبرح من مكانه، وهذا المعنى موجود في اللغات الساميّة القديمة التي هي من أصول اللغة العربية[166]. وهو علم على نبي الله "إلياس" الذي دعا للتوحيد وحارب الشرك، وأفرد الله بالعبادة، وقد بُعث وأرسل من الله تعالى في المنطقة العربية في عصرٍ كان يُعبد فيه وثَنٌ يقال له "بعل" في شمال البقاع من بلاد الشام، على السفوح الشرقية من جبل لبنان في مدينة بعلبك[167].

---

[162] تفسير الألوسي، (133/12). إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 38.

[163] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، (283/16).

[164] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 39.

[165] أسماء الأنبياء، خالد محمد، ص 181.

[166] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 121.

[167] أسماء الأنبياء، خالد محمد، ص 181.

2- مكان مولده:

لم يتطرق المؤرخون المسلمين ولا مفسّرو القرآن الكريم، إلى مكان مولد النبي إلياس (عليه السلام) في كتبهم، فمكان مولده ليس معروفاً على وجه التحديد، كما أنه لم يُذكر في الكتب السابقة "العهد القديم والجديد"، مع اهتمام أسفار التوراة بذكر تفاصيل أماكن مولد أنبيائهم.

وغاية ما ورد في العهد القديم تلك الإشارة بوصفه في الكتاب المقدس بـ "التّشْبِيّ"، في سبعة مواضع[168]، نسبةً إلى تِشْبة[169]، في بلاد جلعاد[170]، فاسمه "إلياس" ولقبه "التِّشبيّ"[171]، وجلعاد من بلاد الكنعانيين، ويذكر المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" فيرى بكل وضوح أنه من جلْعاد وليس غريباً عنها.

وهناك من قال أنه ولد في جبال الأردن، إلا أنّ النصارى يعتقدون أنّ مسقط رأسه كان في موقع "مار إلياس"، وهي الآن كنيسة تطل من الجهة الغربية على بَيْسان وطبريا وجبل الشيخ. كما يُعتقد أيضاً بأن قرية "يسْتب" التي تقع على بعد نصف كيلومتر إلى الغرب من موقع الكنيسة هي بالأصل منطقة "تشْبة" التي ورد ذكرها في كتاب العهد القديم، وتمثل رأس النبي إلياس عليه السلام[172].

وإن العهد القديم يخبر أن إلياس (عليه السلام) قد عاش في المملكة الشمالية زمن الملك "أخاب" في القرن التاسع قبل الميلاد، وكل ما نعرفه عن الملك أخاب خارج الكتاب المقدس، هو ذِكرُ اسمه في نقش ميشع الذي كتبه الملك الموآبي ميشع الذبياني، وهو يذكر انتصارات هذا الملك على بني إسرائيل، وكذلك ذُكر أخاب –على القراءة الأشهر– في نصب سجورح الذي يعود

---

[168] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 23.

[169] تشبة: من جلعاد من بلاد كنعان.

[170] جلعاد: تقع شرق الأردن.

[171] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 23.

[172] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 24-25.

إلى سنة 853 ق.م، والذي يذكر الملوك الذين هزمهم الملك الآشوري شلمنصر الثالث في معركة قرقور، ومنهم أخاب[173].

3- موطن دعوته وبعثته:

يقول الدكتور حسين بن علي الزومي: يميل بعض المؤروخين من أهل الكتاب إلى أن إلياس (عليه السلام) بُعث بعد تشتت دولة بني إسرائيل، وبالتحديد بعد سليمان (عليه السلام)، اعتماداً على تسلسل الأحداث في سفر الملوك الأول، ولكن ذلك قرابة القرن التاسع قبل الميلاد، وذلك بسبب صراع ملوكهم وعظمائهم على السلطة، وما وصلوا إليه من الكفر والضلال الذي دخل عليهم من الأمم الأخرى، وقد سمح الملك أخاب لزوجته الوثنية "إيزابيل" بنشر عبادة قومها في بني إسرائيل، وكان قومها عباداً للأوثان، فشاعت العبادة الوثنية[174].

وعلى كل حال فالذي يهمّنا هو أن "إلياس" (عليه السلام) قد أرسل بدعوته إلى السكان القاطنين بتلك المنطقة[175]، الذين كانوا يعبدون "بعلاً" في بعلبك، والبعل: باتفاق المؤرخين أنه أحد آلهة كنعان من العرب، وإليه نسبت "بعلبك"[176] التي كان يقطنها الكنعانيون، فتحذير النبي لهم من عبادة هذا الصنم بالذات، دليلٌ على أنهم المخترعون لعبادته بالأصالة، بينما كان بنو إسرائيل يعبدونه بالاتباع والتقليد، هو وغيره من آلهة الأمم المجاورة لهم، كما أن لفظة "بَعْل" أصلها عربية يمنية بمعنى: الربّ[177].

---

[173] الوجود التاريخي للأنبياء، سامي عامري، ص 341.

[174] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 26.

[175] المصدر نفسه، ص 26.

[176] المحرر الوجيز لابن عطية، (484/4). إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 27.

[177] تفسير الطبري، (96/21).

4- علاقة إلياس (عليه السلام) بالفينيقيين:

أ-التسمية والحضارة والأصول:

تدل طبيعة الآثار والنقوش على أن القوم القاطنين في بعلبك، قد وفدوا في موجات متتابعة واستقروا في أنحاء مختلفة منه، وأنهم أحد الأقوام الكنعانيين، وكانت تلك الهجرات حوالي منتصف الألف الثالث ق.م، وقد استقر هؤلاء الكنعانيون على ساحل الإقليم السوري، وأطلق عليهم اليونان اسم "الفينيقيين"، وظلوا يمارسون نشاطهم في هذه المنطقة حتى منتصف القرن الأول ق.م[178]، وأما حدود منطقتهم فهي المنطقة التي تمتد حالياً في المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وفلسطين، ويمثل نهر الفرات الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدّها الجنوبي[179].

وأما سبب تسميتهم بالفينيقيين، فمن المحتمل أن يكون الإغريق قد أطلقوا عليهم هذا الاسم، نظراً لوجوههم النحاسية التي لفحتها الشمس، ولقد تجول الفينيقيون في البحار بحثاً عن الثروة، فحرقت الشمس بشرتهم، فأطلق عليهم أيضاً "الرجال الحمر"، وأكثر ما ذكره الباحثون هو أن سبب التسمية نظراً للون الصبغة الأرجوانية التي استخرجها الفينيقيون من بعض قواقع البحر[180]، فقد كان الفينيقيون أول من اكتشف اللون الأرجواني، فاستخرجوه من أصداف المريق، وهي نوعٌ من المحار وُجد بالقرب من الشواطئ الفينيقية، وقد أدخل الفينيقيون الصباغ الأرجواني على أقمشتهم، فاشتهروا ببضاعة الأقمشة الأرجوانية اللون، وتسمية الفينيقيين بهذا الاسم نسبةً إلى الصبغة الأرجوانية التي اكتشفوها وبرعوا فيها، أمرٌ قد يكون مقبولاً، فقد أطلق الإغريق على بعض المدن أسماء لمنتجات تشتهر بها.

---

[178] معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد عصفور، ص 273.

[179] أطلس المملكة العربية السعودية، محمد صبحي، ص 41.

[180] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 55-56.

فهذه التسمية هي نعتٌ أكثر مما هي تسمية، فالإغريق هم من وصف الكنعانيين بالفينيقيين، وقد كانت الحضارة الكنعانية الفينيقية ريفية زراعية وتجارية في آن واحد، وقد اهتم الأوروبيون بالحضارة الفينيقية، لأن علماءهم اعتبروا أنفسهم مدينين ثقافياً وبنيويّاً لهذه الحضارة التي أعطتهم الكثير، وفي طليعتها الأبجدية الكنعانية التي قامت عليها الأبجدية الإغريقية ثم الأبجديات الأوروبية[181].

واستمرت فينيقيا طوال خمسة قرون قوةً عظمى كبلاد الإغريق، وكان الفينيقيون الكنعانيون يتكلمون جميعاً لغةً واحدة مع فارقٍ بسيط في اللهجات، وأسسوا شركات اقتصادية في المحطات التي كانت ترسوا سفنهم في موانئها وكانوا محط احترام وتقدير من الشعوب التي اختلطوا بها، ولكنهم كانوا موضع غيرةٍ وحسد من منافسيهم الإغريق ثم الرومان، وقد امتد مجالهم الحيوي إلى شبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى ومصر، وشمال إفريقيا، والصحراء الإفريقية وأوروبا المتوسطية، وتوزعت مراكزهم على الشكل التالي: مرحلة الاستكشاف الجغرافي، والمرحلة التجارية، ومرحلة التأسيس العمراني، ومرحلة إقامة المستوطنات القرطاجية، ومرحلة الهيمنة التي توصف بالإمبريالية، وتميزت الشخصية الكنعانية الفينيقية بالمرونة والكتمان والدفاع الشرس عن الذات[182].

ويعتبر الفينيقيون من أكثر الأقوام والحضارات شهرةً في التاريخ رغم الاختلاف الكبير بين المؤرخين حول الأصول التي يرجع إليها الفينيقيون، وهو ما جعل الآراء تتعدد حول أصولهم، فمنهم من يرى أنهم يعودون لنسل كنعان، ومنهم من يرجّح أن أصولهم تعود لسيناء في مصر، وفريقٌ يرى أنهم في الأصل نازحون من الجزيرة العربية ومن أصول قبائل "حمير" المعروفة، واعتمدوا في ذلك على علم "الآركيولوجيا"[183]، وذلك عبر النقوش والحفريات التي وجدوها لاحقاً في أماكن

---

[181] سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية، فريدريك معتوق، ص 22.

[182] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 58.

[183] المصدر نفسه، ص 60.

تواجدهم في تلك الممالك، فوثائق أوغاريت تشير إلى أن الفينيقيين جاءوا من سيناء أو من النقب نحو الشمال[184].

وسواءً كان قدومهم من جنوب الجزيرة أو من ساحل الخليج أو من سينا، إلّا أن كل ذلك لا يمنع من كون أصولهم عربية، ويبقى الخلاف محصوراً في دائرة المنطقة التي هاجروا منها، وهي مسألة شائكة لكل القبائل والقوميات التي كانت تتنقل كثيراً في ذاك الزمان، ولا نكاد نجزم بشيء منها[185].

والحقيقة الواضحة إن الفينيقيين هم جزء من الكنعانيين، وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في أصولهم، إلا أن هناك دلائل كثيرة لدى علماء الآثار تساعدهم في إثبات أن الفينيقيين هم في الأصل ساميّون كنعانيون[186]. وقد قطع علم الوراثة الجينيّة إشكالية أصول الفينيقيين، حيث أثبتت الهندسة الجينية أصولهم الكنعانية وفق ما خرجت به الدراسة الجديدة التي نَشرت نتائجها "المجلة الأمريكية لعلم الوراثة البشرية"، حيث أثبتت الأصل الكنعاني للفينيقيين بنسبة تفوق 90%، ومن المعلوم أن علوم الوراثة تمتلك من القوة لتجيب على أسئلة تعجز أمامها السجلات التاريخية أو المواقع الأثرية[187].

ومما يدل على أصولهم العربية أن الأبجدية التي اخترعها الفينيقيون كتبوا حروفها من اليمين إلى الشمال مثل "العربية"، ونشروها في جميع بلاد العالم شرقاً وغرباً، إضافة للتشابه اللغوي بين الخط العربي الجنوبي "المسند" والكتابة الفينيقية[188]، كما تدل على هذه النقوش المكتوبة بالحميّرية

---

[184] تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ص 32.

[185] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 60.

[186] معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، فريدريك معتوق، ص 273.

[187] معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، فريدريك معتوق، ص 273.

[188] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 61.

والفينيقية[189]، وعلى هذا فنسب الفينيقيين الكنعاني هو الصواب قطعاً، في الكنعانيون كانوا شعباً انتقل من الترحال إلى الحضر، لأن جذر الفعل السامي "كنع" يعني الثبات والاستقرار[190].

ب-بعلبك:

قال ياقوت الحموي رحمه الله: بَعْلَبَكّ بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء، والكاف مشددة، مدينةٌ قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمةٌ وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، فتحت بصلحٍ أيام عمر سنة 14 هـ، وكان لأهلها صنمٌ يسمى "بعلاً"، فسُميت به واسم الموضع "بك". تقع مدينة بعلبك هذا الزمان في لبنان وبالتحديد شمال سهل البقاع وشرق نهر الليطاني، وتبعد عن العاصمة بيروت حوالي 83 كم من ناحية الشمال الشرقي، وبالتحديد في السفح الغربي من جبال لبنان الشرقية، وتعلو إلى 1150م على سطح البحر، موقعها كان صلة وصل ومركز استراتيجي بين حضارات العصور القديمة بين دجلة والفرات إلى الشرق وبلاد النيل، وهكذا وُجدت المدينة على ممرٍ رئيسي للقوافل التجارية على مفترق الطرق بين بلاد ما بين النهرين ومصر وشواطئ البحر المتوسط.

وبعلبك جزءٌ من بلاد كنعان الكبيرة الامتداد، ففي فترة تأسيس المدن الكنعانية 3000-2400ق.م ذكر الباحثون أنهم عثروا على ما يربو عن 135 مدينة، كما وجدوا 1200 قرية تعود نشأتها للكنعانيين، وتعتبر بعلبك هي المدينة الدينية التي يحجّون ويفدون إليها ويذبحون القرابين فيها، وقد برزت بعلبك على الساحة السياسية بعد احتلال الإسكندر المقدوني لها، لكنها أصبحت في العهد الروماني مكان عبادة للأوثان كما كانت في العهود السابقة.

---

[189] إلياس بني الفينيقيين، حسين الزومي، ص 62.

[190] سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية، ص 22.

ج–البعل في قصة إلياس (عليه السلام):

استنكر إلياس (عليه السلام) على قومه عبادة ودعاء "البعل"، فقال لهم: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: 125]، فالتحذير من عبادة هذا الصنم وترك عبادة الله كانت محور دعوة الرسول إلياس عليه السلام. "بَعْلًا" اسم صنم كان يعبده أهل "بك" من كنعانيي الشام، وهو أعظم أصنام قوم إلياس (عليه السلام) بعد مناة وهبل، وهو قول ابن عباس، وهو الرأي الأصح والأشهر كما يقول ابن كثير، ولا يتعارض هذا مع قول من قال أنه صنم من أصنام الفينيقيين، إذ إنّ الفينيقيين أصولهم كنعانية، وكانت كلمة البعل تعني إله القمر أو إله السماء، وكان ذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضاً، حيث يبدو أنه من آلهة العرب الرئيسية، وقد قُرِئ في آثار اليمن اسمه "بعل سمين" بمعنى إله السماء.

وقد قيل إن الصنم كان على صورة إنسان من نحاس له رأس عجلٍ وله قرنان وعليه إكليل، وهو جالس على كرسي مادّاً يديه كمن يتناول شيئاً، وكانوا يقربون له أطفالاً من أطفال ملوكهم، وقيل كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه، وفُتنوا به وعظّموه حتى عينوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء. و"بعل" هو الصنم الذي حارب نبيُّ الله عبادته فقال منادياً لقومه: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾. قال الدكتور حسين بن علي الزومي: ولا شك أن الفينيقيين هم الذين عبدوا البعل ومعناه الإله الأكبر، وتوهموه بالشمس، ويُسمى أحياناً بالبعليم، وهو جمع بَعْل، وكانوا يعتقدون أن للبعل بَعْلة، أي زوجة، وهي في درجة من العظمة، فعبدوها باسم "عشتروات" أو "عشتارت"، ويعني اسمها "السيدة"، ولقبوها بملكة السماء، ويعنون بها القمر، وكانوا يصنعون لها نصباً أو صنماً لعبادتها في كل مدينة مع زوجها.

قال ابن عاشور رحمه الله في أثناء حديثه عن عبادة بني إسرائيل للعجل: وإنما اتخذوا العجل تشبهاً بالكنعانيين الذين دخلوا في أرضهم، وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام، فإنهم كانوا عبدة أوثان، وكان العجل مقدساً عندهم، وكانوا يمثلون أعظم الآلهة عندهم بصورة إنسان

من نحاس له رأس عجلٍ جالسٌ على كرسي، وكان يسمّى عندهم "بعلا"، وربما يسموه "مولوك"، وهم أمّةٌ ساميّة لغتها وعوائدها تشبه في الغالب لغة وعوائد العرب، وقد قلّد الإريق الفينيقيين في وضع هالةٍ ومواصفات على "زيوس" مشابهةٍ للبعل، حيث نجد أن أوصاف "البعل" الكنعاني كاملة في شخصية الإله زيوس، كذلك نجد زيوس في إلياذة هوميرس هو مجمع السحب ومرسل الصواعق ويرعد في الأعالي، وهذه الأوصاف ذاتها ترافق اسم البعل في نصوص أوغاريت، وكما يوصف البعل بالعليّ نجد أن كلمة زيوس الإريقية تعني السماء، أي العلو أيضاً.

وقد بيّن الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله أن القوم الذين قلّدهم بنو إسرائيل هم الكنعانيون، ويعرفون عند متأخري المؤرخين بالفينيقيين، وأن صنم الفينيقيين اسمه "بعل"، وقد أكد القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: 138-140].

يقول الدكتور حسين بن علي الزّومي: أن "بعل" ليس إلهاً خاصّاً ببني إسرائيل بالأصالة، بل بالتبعيّة والتقليد، والأمر الآخر المهم أيضاً أنهم لم يعبدوا البعل فقط، بل عبدوا الكثير من الآلهة التي رأوها، وكان ديدنهم "اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ"، ويتواصل التقليد الأعمى الوثني حتى بعد عهد موسى عليه السلام.

ثانياً: حديث القرآن الكريم عن إلياس عليه السلام:

ورد اسم إلياس (عليه السلام) في موضعين في القرآن، الأول: في سورة الأنعام، وذلك ضمن مجموعة من الأنبياء، كانوا من ذرية إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٥﴾

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 84-86]. واكتفت الآيات بذكر اسم إلياس (عليه السلام) ضمن الثمانية عشر نبياً المذكورين فيها.

وإن الموضع الثاني في سورة الصافات بعد الحديث عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وهارون، وبعده جاء الحديث عن لوط ويونس عليهم الصلاة والسلام، وسجلت الآيات بعض ما جرى بينه وبين قومه الكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 123-132].

تفسير الآيات الكريمة:

1-﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: يخبرنا الله في هذه الآيات أن إلياس (عليه السلام) كان نبياً رسولاً، ووصفه الله (سبحانه وتعالى) في سورة الأنعام بأنه "من الصالحين"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: 85]. فقد عُدّ إلياس رديف زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام جميعاً، وفي هذا إشارة إلى أن هدايته واجتباءه وتفضيله كان من نوع هدايتهم عليهم السلام. وهذا المعنى منظور في كل مورد ذكرت أسماء الأنبياء عليهم السلام في مقام ذكر فضلهم واجتبائهم وهدايتهم وكيفيّة سلوكهم والعمل برسالتهم، وليس في الآيات دلالة على تقدم زمانهم أو تأخّره، فإنه أمر مادّي تاريخي لا ربط فيه إلى النبّوة والرسالة والهداية والتبليغ، فيُستفاد من الآية الكريمة أنّ إلياس (عليه السلام) كان في حالة التجرّد والانقطاع والتوجّه التام والتبتّل الخالص والعبودية الكاملة. والقرآن الكريم يبيّن بشكل جليّ ويردّ بوضوح على من زعم أنه ليس بنبي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 123]، فكيف يكون أحدٌ من بني آدم مرسلاً وليس بنبّي؟

فكلّ الرسل أنبياء، وكل الأنبياء صالحون، فالأنبياء والمرسلون مأمورون بتبليغ رسالات الله عزّ وجل القائمة على دعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة.

2-﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾: فقد دعاهم إلى توحيد الله وعبادته وتقواه، وهي دعوة كل نبي ورسول يدعو قومه إلى عبادة الله وحده.

-﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾: فالملاحظ أنّه استخدم "أَلَا تَتَّقُونَ" وابتعد عن الأمر المباشر الذي قد يؤدي إلى تنفير المخاطب، و "ألا" هنا أداة تخصيص وحث، وليست أداة عرض فقط، لأنه لا يقصد عرض التقوى عليهم، ولكنه يحضّهم على هذا، وهذا يدل على تلطّف إلياس (عليه السلام) في دعوة قومه، لأنه قال: "أَلَا تَتَّقُونَ"، وهذا للعرض والحثّ، ولم يقل لهم: "اتقوا الله" مع أن باستطاعته أن يأمرهم، ولكن ينزّل كل مخاطب وكلّ حال بمنزلته وبما يليق به، وبحسب ما تقتضيه مصلحة الدعوة، والصحيح في مفعول التقوى هنا أنه عام، فكأنه يقول: ألا تتقون الله، ألا تتقون النار، ألا تتقون الحساب، فحذفت الآية المفعول لتشمل كل ذلك، ولا ينبغي إذا دلّت الآية على معنى أعم أن تقيدها بمعنى أخصّ، لأن هذا يعتبر نقصاً في تفسير الآية، بل إذا جاءت الآية عامة فلتبق على عمومها، وإذا جاءت مُطلقة فلتبق على إطلاقها.

3-﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾: ومعنى ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾، أتعبدون ربّاً صنماً، وتجعلونه معبوداً مألوهاً، وتدعونه وتتضرعون إليه وتطلبون منه، مع أنّه بعل صنم، وليس إلهاً قادراً على الضر والنفع، قال الإمام الراغب عن "البعل" وإطلاقه على المعبود من دون الله: البعل هو الذكر من الزوجين، وسُمي بعلاص لما فيه من معنى الاستعلاء على المرأة، فجعل كأنه رئيسٌ لها وقائمٌ عليها، وسُمي باسمه "بعل" كلُّ مستعلٍ على غيره، فسمّى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله "بعلاً" لاعتقادهم ذلك فيه، قال تعالى: ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾، ويقال: أتانا بعل هذه الدابة: أي المستعل عليها. ومعنى كلام الراغب أن مادة "بعل" في اللغة تقوم على الاستعلاء، فالزوج بعلٌ لامرأته، لأنه مستعل عليها، ومتحكمٌ فيها وقائدٌ لها.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾: الاستفهام هنا للتوبيخ والإنكار والتسفيه، ﴿تَدْعُونَ﴾ بمعنى تعبدون، فإن الدّعاء يُسمّى عبادة كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]. ولم يقل: "عن دعائي"، وهذا يدل على أن الدعاء يراد به العبادة، ويحتمل أن يكون المراد بدعوتهم هذا الصنم دعوة المسألة، وأنهم يستغيثون بهذا الصنم وإن لم يركعوا له ويسجدوا له.

وإن ظاهر الآية أن هؤلاء كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، ويرون أن البعل هو الرب الذي يجب أن يطاع وأن يخشى، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ على ظاهره، ويحتمل أنهم يدعون البعل ويدعون الله، ولكن من دعا غير الله ودعا الله فإن الله غنّي عنه، فيكون كالتارك لدعاء الله، وعلى هذا فيكون إلياس جعلهم تاركين لله لأنهم أشركوا به، ومن أشرك بالله معه غيره فالله غنيٌ عنه، وكأنه لم يعبد الله، وعلى هذا فإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحقيقة إذا كانوا يعبدون البعل ولا يعبدون الله، وإما أن يكونوا قد تركوا الله على سبيل الحكم إذا كانوا يعبدون البعل ويعبدون الله.

وإن الذي يلفت الانتباه هنا أن النص القرآني ذكر اسم الصنم صريحاً "بعل"، بينما أغفل في أغلب قصص الأنبياء ذكرى معبودات أقوامهم، سوى قوم نوح ومحمد (عليهم الصلاة والسلام)، ولعل السر في ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:

-افتتان كثيرٍ من الناس بهذا الصنم فهو معبود بلاد الشام جميعها، أي سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين قبل ميلاد المسيح، وكان كذلك في جنوب جزيرة العرب وفي العراق أيضاً، حيث يبدو أنه من آلهة الجنس العربي الرئيسية.

-استمرار الفتنة به أزمنة متطاولة.

-كانوا يرون فيه أنه المتصرف في أحوال العالم من دون الله، استقلالاً لا تبعاً، حتى تركوا عبادة الله.

﴿وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ يقول: وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق.

ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله): الحق سبحانه حين يصف نفسه بأنه تعالى أحسن الخالقين، يعني: أنه سبحانه لا يضنُّ على عبده بصفة الخلق، فالإنسان الذي يُعمل عقله في الكون، ويخترع شيئاً نافعاً لمجتمعه، يسميه الله خالقاً، لأنه أبدع شيئاً جديداً لم يكن موجوداً، فهو خالق، والله أحسن الخالقين، لأن الله يخلق من عدم محض، أما أنت فتخلق من موجود خلق الله فيه حياة ونمواً وحركة ..إلخ، وخلقك جامد ثابت عند شيء معين.

فالله لا يحتاج في الإيجاد والإعدام إلى أسباب، فالعدول عن اسم الله الذي يختص به إلى عبارة أحسن الخالقين، لا بد له من حكمة، والحكمة هنا في إقامة الحجة عليهم بعدم صلاحية معبودهم للعبادة، لأنه لا يستطيع الخلق، والله وحده هو الذي يقدر على الخلق، فالله تعالى أحسن الخالقين، وكلما خلق شيئاً فالله تعالى أحسن منه خلقاً.

ولما كان الإنسان يعلم يقيناً أنه لم يربِّ نفسه، بل ربّاه الله ورزقه، وكان الإحسان أعظم عاطفً للإنسان، فقد بيّن إلياس (عليه السلام) لهم ذلك مذكّراً لهم بإحسان الله إليهم بالتربية بعد الخلق من العدم، وهي أعظم تربية.

إن استخدام إلياس (عليه السلام) لهذه المعاني هو أفضل منبّهٍ للعقل والتفكير، فأهم قضية في حياة الإنسان هي أن يعرف من الذي خلقه ومن هو مالكه ومربيه ووليّ نعمته؟ ويخلص له في العبادة على شرعه القويم.

4-﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ذكر إلياس (عليه السلام) الوصف المشوق الدال على أحقيته سبحانه وتعالى بالعبادة، وكأنهم سألوا: ومن أحسن الخالقين؟ فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، وذلك بذكر معبود آباءهم الأولين، وهو الله سبحانه، ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فيناديهم النبي (عليه السلام)، ذلك معبودكم أيها الناس الذي يستحق منكم

العبادة، ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم الماضين قبلكم، لا الصنم الذي لا يخلق شيئاً ولا يضر ولا ينفع.

وقد قال الدكتور عبد الغفار حامد محمد هلال في تفسيره للآيات أن إلياس (عليه السلام) بيّن لهم أن الخالق الحقيقي الذي يجب عليهم الاتجاه إلى عبادته هو الله الذي خلق المخلوقات على أحسن صورة وتقويم، إذا لا يوجد خالق غير الله تعالى أصلاً، ثم إن الله تعالى هو ربّ العباد منذ خلق آدم، وفي جميع أطوار البشرية، جيلاً بعد جيل مما سبق قوم إلياس ممّن يُعدّون آباءً لهم وأجداداً سابقين عليهم، فلماذا يعرضون عن الحق ويتوجهون إلى الباطل؟ وهذه الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحدة هي دعوة الأنبياء جميعاً، وحثّ الناس على ترك عبادة غير الله هو منهج كل رسل الله، ومع وضوح الدعوة إلى الإيمان الصحيح فإن قوم إلياس لم يصدقوا ما جاء به، واستمروا على باطلهم بعبادة الأصنام.

5-﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾: كذّبه معظم قومه، فحق عليهم العذاب في الدنيا، وفي الآخرة سيعذبون في جهنم. و"محضرون": اسمه مفعول يقرر حقيقة بعثهم بعد الموت، وإحضارهم للحساب ثم عذابهم في النار. وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ فإنهم لمحضرون في عذاب الله، فيشهدونه، وإنما أطلقه اكتفاءً منه بالقرينة، أو لأن الإحضار المطلق مخصوص بالبشر عرفاً. وإن الفاء هنا للسببية: أي فبسبب تكذيبهم إنهم لمحضرون، أي محضرون إلينا يوم القيامة وسيجازون على ذلك، والله توعد هؤلاء بأنهم سوف يحضرون إلى الله وسوف يجازيهم على هذا، فيكون الاستثناء منقطعاً، ولكن عباد الله المخلصين سوف ينجون من هذا الحضور، أي من العذاب الذي يترتب على هذا الحضور.

والإحضار في حدّ ذاته أمام ربّ العالمين، فيه ما فيه من التخويف والترهيب، حيث لا مفرّ ولا مهرب، ويترقب حينها المسيء وعقوبته، ويلقى جزاءه، فالمؤدى واحد في الإحضار، خصوصاً وأن فعل الإحضار نسب إلى المجهول، فالمشرك أحقر من أن ينسب الله إحضاره لذاته العليّة،

وكم من جند الله من هو مستعد لهذه المهمة وهذا التكليف. والمشرك في كل حال محضر لا محالة أمام مالك يوم الدين، وقد تأكد إحضاره بمؤكدين من الحروف "إنّ" و"اللّام": فإنهم لمحضرون.

و"الفاء" في قوله "فكذّبوه" تدلّ على الترتيب والتعقيب لا التراخي، ومع ذلك لا بد من وجود مهلة مناسبة بين المعطوف عليه قد تنقص أو تطول، إذ الزمن متروك لكل شيء بحسبه، لأن ذلك أمرٌ نسبي يختلف باختلاف الاعتبار، وهي هنا دالةٌ على التكذيب السريع بدعوة إلياس عليه السلام.

6-﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: فهؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله وعبدوا الله وحده واتقوه وحده، وأخلصوا الدين له وحده، وبذلك استخلفهم الله من بين عباده، فكانوا عباده المخلَصين المخلَصين، وكانت عبادتهم خالصةً لله سبحانه. وقد وصفهم الله بما أشار إليه من الوصف بالعبودية، والإضافة إلى الاسم الأعظم، فقال "عِبَادَ ٱللَّهِ" ثم وصفهم بال"مُخۡلَصِينَ"، أي لعبادته، فلم يشركوا به شيئا جليّاً ولا خفياً، فإنهم ناجون من العذاب.

فقد وصفهم سبحانه بال"مُخۡلَصِينَ"، وهي صفة عباد الله، وهي بفتح اللام إذا أراد الذين أخلصهم الله لولايته، و بكسرها تعني الذين أخلصوا دينهم لله. وقال السعدي رحمه الله في قوله "إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ": أي الذين أخلصهم الله، ومنَّ عليهم باتباع نبيهم، فإنهم غير محضرين في العذاب، وإنمّا لهم من الله جزيل الثواب.

انتهت قصته إلياس (عليه السلام) مع قومه بانقسامهم إلى قسمين: أغلبية كافرة عذّبهم الله وأهلكهم، وقلة مؤمنة آمنت به أنجاهم الله مع إلياس (عليه السلام)، ولم يذكر القرآن الكريم كيف كان تعذيب الكافرين، ولا كيف كانت نجاة المؤمنين، ولا كيف كانت نهاية إلياس (عليه السلام)، فهذا من مبهمات القرآن.

7-﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: وهذا الثناء من الله على إلياس (عليه السلام)، ومعنى "تركنا": أبقينا، و"الآخرين" هم الأجيال القادمة، أي أبقينا على إلياس الذكر الحسن والثناء الطيب في القادمين فيما بعد والآخرين، ويشمل ذلك المؤمنين الصالحين بعد إلياس وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام، كما تشمل الأمة المسلمة بكل أجيالها، أمة الخلافة والشهادة حتى قيام الساعة. وقد وردت هذه الجملة ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ في سورة الصافات، في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام، وكل الأنبياء جعلهم الله قدواتٍ لمن بعدهم، وأمر الآخرين القادمين بالاقتداء بهم، كما ورد في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90]. وقد جاء هذا الثناء بسبب ما اتصفوا به من كمال الإحسان وتمام العبودية والإيمان، وجهادهم في الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وكل من اتصف بذلك له من الثناء بقدر ما اتصف به، ولذلك كان الثناء على من ذكرهم الله من الأنبياء في سورة الصافات عظيماً، وهذا الثناء يشمل كل الأزمنة، ممن سيأتي بعدهم إلى يوم القيامة. فالشعوب والأمم، وبنو الإنسان على مر الدهور، لن تنسى الجهود الكبيرة التي قام بها الأنبياء والمرسلون من أجل دعوة التوحيد ونبذ الشرك وإفراد العبادة لله، فرسالة الأنبياء حيّة وخالدة وباقية، حفظها الله في الذكر الحكيم.

8- ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾: أي: تحية من الله وسلام من الله ومن عباده عليه، والسلام من الله تعالى يعني السلامة من النقائض والعيوب التي تعتري البشر، ومن الثناء القبيح الواقع عليه من غيرهم. وأما السلاك من البشر فهو اسم جامع لكل خير، لأنه إظهار الشرف والإقبال على المسلّم عليه بكل ما يريد. وفي قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قراءتان: الأولى، قراءة نافع بن عامر: "سلامٌ على آل ياسين"، بإضافة "آل" إلى "ياسين"، وذهبوا إلى أنّ "ياسين" هو إلياس، وأضافوا الآل إليه، فقالوا: "آل ياسين"، وآل ياسين هم أتباعه المؤمنون الذين استجابوا له ودخلوا في دينه، والسّلام على آل ياسين -الذين هم آل الناس- سلامٌ عليه هو، لأنه كان السبب في هدايتهم.

القراءة الثانية هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والكسائي "سلام على إلياسين" بكسر الألف وسكون اللام، وفي توجيه هذه القراءة قولان:

الأول: أن "إلياسين" جمع "إلياس"، والمراد بالجمع أتباعه المؤمنون، فنُسبوا إليه، ثم جمعوا جمع مذكر سالم، والاصل هكذا: إلياس، ثم تنسب المؤمن إليه فتقول: إلياسيّ، ثم تحذف ياء المناسبة عند الجمع للتسهيل فتقول: إلياسون، وذلك كقولك: مهلّب، مُهلبيّ، مُهلّبون، و: محمد، محمديّ، محمّدون، وهنا نقول: إلياس، إلياسيّ، إلياسون. وهذا التوجيه عليه كلام واعتراض، ليس هذا موضع بسطه.

الثاني: "إلياسين" هو: إلياس. هو لغة ثانية، فيه نقول: إلياس و إلياسين، وهذا كقولك: جبريل وجبرائيل أو جبرائين، وميكال وميكائيل أو ميكائين، وإسماعيل وإسماعين، وإسرائيل وإسرائين.

وقد قال الشاعر:

يقول أهل الشوق لما جينا ... هذا وربي البيت إسرائينا

وإن الشاهد فيه قوله: إسرائينا، حيث قلب اللام نوناً، والأصل إسرائيل.

وهذا التوجيه أولى، فالسلام في الآية "سلام على إل ياسين" من الله على إلياس نفسه، وليس على أتباعه وآله المؤمنين، وهذا يتفق مع سلام الله على أنبياء آخرين في نفس السورة، وذلك في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 79]، وفي قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: 109]، وفي قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات: 120]. وصرّح بالسلام على المرسلين، وليس على أتباعهم في آخر آيات السورة، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: 180-181].

ولعل الحكمة في العدول عن "إلياس" إلى "إلياسين" في الآية: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾، هي مراعاة الفاصلة ورؤوس آيات السورة، حيث معظم آياتها جاءت مختومة بالواو والنون أو الياء والنون. فلو قال: "سلام على إلياس" لما انسجم مع إيقاع باقي الآيات، ولما توافق مع فواصلها،

ويحدث فيها ما يشبه "الكسرَ" في الإيقاع، يُشبهُ كسر الوزن في الشعر العربي العمودي، فأضيفت الياء والنون لتوفر هذا التوافق والانسجام. مع أن "إلياسين" لغة ثانية في "إلياس"، كما قررنا قبل قليل: إلياس الياسين، وإسماعيل إسماعين، وإسرائيل إسرائين، فاختير الاسم الثاني لإلياس الذي يحقق الانسجام في الإيقاع والتوافق مع رؤوس الآيات.

9- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: فكما أحسن إلياس (عليه السلام) في عبادة الله فقد أحسن الله إليه، وقد قال الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: 60]، وقد بيّن الله عز وجل عظيم فضله على عباده الذين أحسنوا، حيث يجزيهم بالحسن وزيادة كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26].

- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: كما فعلنا مع إلياس (عليه السلام) نجزي كل محسن، والمحسن هو الذي لا يقف عند حد الواجب المطلوب منه، إنما يتعداه إلى الزيادة من جنس ما فُرض عليه وكُلّف به، فالحق سبحانه فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فمن زاد فوق المعلوم فهو من الإحسان، والله فرض علينا الحق المعلوم للفقير وهو الزكاة، فمن زاد وأعطى غير المعلوم فهو من الإحسان، قال تعالى:" إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم كانوا قبل ذلك محسنين"، يعني زائدين عمّا فرض الله من جنس ما فرضه عليهم، ثم يذكر سبحانه حيثيات هذا الإحسان:"كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار عم يستغفرون، وفي أموالهم حق للسائل والمحروم"، و المحسن يستحق هذا الجزاء، لأن الذي يتقرب إلى الله بأكثر مما فرض عليه، دليلٌ على أنه عشق التكليف والمكلّف، وعلم أن الله كلّفه بأقل مما يستحق فزاد.

ومقام الإحسان هو الإيمان وروحه وكماله، وهذا المقام يجمع جميع المقامات الفاضلة فجميعها منطوية فيه، فالإحسان يشمل الإحسان في العبادة، ويشمل الإحسان إلى الخلق بالدعوة، لأن الإحسان نوعان، الأول هو الفعل الحسن، والإحسان الثاني إعطاء الحسن وهو الخير، فالأول

من قولهم: أحسنوا في كذا. والثاني من قولهم: أحسن إلى فلان. ولا شك أن الإيمان والعبودية لله هما منبع الإحسان، والإحسان يؤدي إلى انضمام المحسن لصفوف المخلصين الذين يشملهم سلام الله.

- ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: هذا وصف من الله تعالى لعبده إلياس (عليه السلام)، وهو مقام العبودية لله، وهو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، وذكر إلياس (عليه السلام) بوصف العبودية المضافة لله تعالى تنويه به وتقريب، كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [ص: 17]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [ص: 45]، و قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: 68]، والثناء على إلياس في هذه الآية معلق هنا بالعبودية والإيمان، فكلما كان الإنسان أقوى عبادة كان أحق بالثناء، وكلما كان الإنسان أقوى إيماناً كان أحق بالثناء. هذه الآيات الكريمة في سورة الصافات ذكرت صفتي إلياس (عليه السلام)، وقصته العظيمة في محاربة الشرك والدعوة إلى عبادة الله (عز وجل).

المبحث الخامس: قصة ذي الكفل واليسع عليهم السلام

يُعدّ هذا المبحث امتداداً لعرض قصص الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، التي تُجسّد قيم الصبر والإيمان والثبات على الحقّ. ومن بين هؤلاء الأنبياء الكرام يبرز اسما ذي الكفل واليسع عليهما السلام، اللذان خَلّدا في التاريخ نموذجَين من نماذج الدعوة الصادقة والعمل الصالح، رغم قلة ما ورد عنهما في النصوص. ورغم إيجاز القرآن في ذكرهما، فإنّ إشاراته تحمل معاني عميقة تتعلّق بصدق العهد مع الله، وتحمل المسؤولية في تبليغ الرسالة، والإخلاص في العمل.

ويتناول هذا المبحث بالتفصيل قصة ذي الكفل (عليه السلام) أولاً، من حيث اسمه ومعناه، وأقوال المفسرين في نبوّته، ومن ثم يعرض قصة اليسع (عليه السلام)، مبيّناً ما ورد عنه في القرآن والسنة وأقوال العلماء، مع الوقوف على الدروس والعبر المستفادة من سيرتهما المباركة.

أولاً: قصة ذي الكفل عليه السلام:

ذو الكفل نبيٌ كريم ورد اسمه ضمن أنبياء آخرين في القرآن، وكان ذكره مرتين في سورة الأنبياء وفي سورة ص، وسيأتي تفسير الآيات الكريمة في حينه بإذن الله، ومعنى "ذو الكفل": لفظ وتركيب عربي قديم، وهو يعني المعطاء الضامن والكفيل، و "ذو" للاختصاص تمنح للعاقل، أي "حامل هذا الاسم" من الأخيار، الضامن المتعهد لدعوة الله تعالى أو الداعية لها، والمخصص بالكفالة والمستعد لها إذا كانت عملاً إيجابياً منتجاً مفيداً، وبناءً لإحقاق الحق في سبيل الله تعالى، وهو الذي ومن شدة ثقته بالله تعالى صار دائماً معطاءً شديد الكرم، وبناءً عليه فإنه في طبعه أنه يضمن ويكفل الناس، لا يخذلهم ولا يتخلى عنهم أبداً، وهو يتعهدهم باستمرار.

1. أقوال المفسرين في نبوته:

ثمة خلاف بين المفسرين على نبوة ذي الكفل، فبعضهم قال إنه نبي، ومنهم الحسن والأكثرون من العلماء، ومنهم من قال إنه ليس نبياً، ولكنه كان ملكاً عادلاً، وحكماً قسطاً وعبداً صالحاً، ومنهم أبو موسى الأشعري ومجاهد، وعدّ الفخر الرازي القول الأول أولى الأقوال، ودلل على ذلك بأمور أهمها: أنه تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس، والغرض ذكره الفضلاء من عباده ليستأنس بهم، وذلك يدل على نبوته، وأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، فكل من ذكره الله سبحانه وتعالى فيها فهو نبي.

وابن كثير رحمه الله لم يقطع كغيره من المؤرخين بأن ذا الكفل هو بشر بن أيوب، ولم يقطع كذلك بأنه كان نبياً. وذلك حين يقول: وقام بالأمر بعده –أي أيوب– ابنه بشر بن أيوب، وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل، ثم يقول: ومات ابنه هذا، وكان نبياً فيما يزعمون.

على أننا نرى ابن كثير رحمه الله يبدأ الكلام عن ذي الكفل بما يفيد أنه النبي في اعتقاده، فهو يشير إلى ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء بعد ذكر أيوب، وفي سورة ص كذلك، ثم يقول: فالظاهر من ذكره في القرآن الكريم بالثناء عليه، مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي –عليه من ربه الصلاة والسلام–، وهذا هو المشهور، وقال: وزعم آخرون أنه لم يكن نبياً، وإنما كان رجلاً صالحاً وحكماً، مقسطاً عدلاً، وذكر بعضهم أن ذا الكفل هو ابن أيوب عليه السلام.

ويرى بعض المؤرخين أن ذا الكفل هو بشر بن أيوب (عليه السلام)، وأن الله عز وجل بعثه نبياً بعد أبيه، وسماه ذا الكفل، وكانت إقامته بأرض الشام، وظل مقيماً بها حتى مات، وقد أمره الله عز وجل أن يدعو الناس إلى التوحيد، وعُمّر ذو الكفل خمساً وخمسين سنة. ويشيع بين أهل دمشق أن له قبراً في جبل قاسيون يشرف على دمشق، والكثير مما ذكره المؤرخون لا دليل عليه، وبعضهم تأثروا بالإسرائيليات.

2. خلافته لليسع ونبوته:

ذكرت بعض كتب التفسير بدون دليل من الكتاب والسنة بعض الروايات في كتب التفسير، منها:

قال ابن عباس إن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أتاه الله الملك والنبوة ثم أوحى الله إليه: إني أريد قبض روحك، فاعرض مُلْكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك أنه يصلي بالليل حتى يصبح، ويصوم بالنهار فلا يفطر، ويقضي بين الناس فلا يغضب، فادفع ملكك إليه، فقام ذلك النبي في بني إسرائيل، وأخبرهم بذلك. ثم تذكر رواية ابن عباس السابقة ما روي عن مجاهد من قوله: لما كبر اليسع قال: لو أنّي استخلفت على الناس رجلاً يعمل عليهم في حياتي، حتى أنظر كيف يعمل. قال: فجمع الناس، فقال: من يتقبل لي بثلاث استخلفه؟ يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب. فقام رجل تزدريه العين، فقال: أنا، فقال أنت تصوم النهار، وتقوم الليل ولا تغضب؟ قال: نعم، قال: فردّهم ذلك اليوم، وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل، فقال: أنا، فاستخلفه، فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان، فأعياهم. فقال: دعوني وإياه، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل ولا النهار إلا تلك النّومة، فقال من هذا؟ قال: شيخٌ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب، فجعل يقص عليه، فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني. وتذكر الرواية أنه أخذ يكرر ذلك كل يوم، في وقت قيلولة ذي الكفل حتى أغلق ذو الكفل الباب في هذا الوقت، فلما رآه ذو الكفل عرفه لأن الباب مغلق، فقال: أَعَدُوُّ الله؟ قال: نعم، أعييتني في كل شيء، ففعلت ما ترى لأغضبك، فسمّاه ذا الكفل، لأنّه تكفل بأمرٍ فوفى به.

3. الكفل هو مسند أحمد هل هو ذو الكفل؟

عن عبدالله بن عبدالله عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر قال: سمعت من رسول الله حديثاً لو لم أسمعه إلا مرّة أو مرتين، حتى عدّ سبع مرار ولكن قد سمعته أكثر من ذلك، قال: كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورّع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أُرعدت وبكت، فقال لها: ما يُبكيك؟ أأكرهُتك؟ قالت: لا ولكن هذا عمل لم أعمله قط، وإنّما حملتني عليه الحاجة، قال: تفعلين أنت هذا ولم تفعليه قطّ، ثم نزل فقال: اذهبي بالدنانير لك، ثم قال: والله يعصي الله الكفلُ أبداً، فمات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل. رواه الترمذي من حديث الأعمش به، وقال: حسن، وذكر أن بعضهم رواه فوقفه على ابن عمر، فهو حديثٌ غريب جداً، وإسناده نظر، فإن سعداً هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد، ووثّقه ابن حبّان، ولم يروه عنه سوى عبدالله بن عبدالله الرازي هذا، والله أعلم. قال ابن كثير رحمه الله: وإن كان محفوظاً فليس هو ذا الكفل، وإنما لفظ الحديث: الكفل، من غير إضافة، فهو جلٌ غير المذكور في القرآن، فالله أعلم.

ذكر الدكتور صلاح الخالدي رحمه الله: أنه لا يوجد حديثٌ صحيح مرفوع يتحدث فيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن ذي الكفل، بينما أوردت الإسرائيليات بعض الأخبار والتفصيلات عن ذي الكفل، وعن سبب تسميته بذلك، ونقل هذه الإسرائيليات بعض المفسرين والمؤرخين المسلمين، مع أنها إسرائيلياتٌ كاذبة باطلة، تَنسِب إلى ذي الكفل ذنوباً وكبائر لا تصدر عن المسلم الصالح، فضلاً عن نبيٍّ كريم، ونحن لا نرى إيراد الإسرائيليات، ولا نسبة أشياء للأنبياء من خلالها، ولذلك أضربنا عنها.

وقال ربيع عبد ربه عطا: ذكر الله تعالى ذا الكفل في لمحةٍ سريعة في كتابه العزيز، وبالثناء عليه مقروناً مع الأنبياء الأخيار، الصابرين على ما كُلفوا به، ولم يقص قصته مع قومه، فلم نعرف زمنه ولا مكانه، والأرجح أنه نبي من بني إسرائيل، وهذا هو المشهور.

4.ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء:

قال الله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: 85-86]. وقد تكلمنا عن هذه الآية عند حديثنا عن إدريس (عليه السلام) في المبحث الثالث، وأشرنا إلى ثناء الله على هؤلاء الأنبياء، وتفسير الآيات في ذلك الموضع، واعتمدتُ على كتاب الدكتور أحمد نوفل (تفسير سورة الأنبياء). وأثنى الله تعالى على إسماعيل وإدريس وذي الكفل بأنهم صابرون مرحومون صالحون، وهذا ثناء على ذي الكفل، وشهادةٌ من الله له بأنه صابرٌ مرحومٌ صالح، كباقي إخوانه الأنبياء.

5.ذكر ذي الكفل في سورة ص:

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٩﴾﴾ [ص: 45-49].

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا﴾: الذين أخلصوا لنا العبادة ذكراً حسناً، إبراهيم الخليل، وإسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)، ويعقوب بن إسحاق بين إبراهيم عليه السلام.

و"أُولِي الْأَيْدِي": أي: القوّة على عبادة الله تعالى.

و"الْأَبْصَارِ": أي: البصيرة في دين الله، فوصفهم بالعلم النافع والعمل الصالح الكثير.

و"إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ": عظيمة وخصيصةٍ جسيمة.

و"ذِكْرَى الدَّارِ": جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم والعمل بها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يتذكر بأحوالهم المتذكر ويعتبر بهم المعتبر، ويُذكرون بأحسن الذكر.

و"وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ": الذين اصطفاهم الله من صفوة خلقه.

و"الْأَخْيَارِ": الذين لهم كل خلقٍ كريم وعمل مستقيم.

و﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٩﴾﴾ [ص: 48-49].

وأيّ: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر وأثني عليهم أحسن الثناء، فإنّ كلّاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال والأخلاق، والصفات الحميدة والخصال السديدة.

و"هَٰذَا ذِكْرٌ": أي: ذكرُ هؤلاء الأنبياء الصفوة، وذكر أوصافهم في هذا القرآن ذي الذكر، يتذكّر بأحوالهم المتذكّرون ويشتاق إلى أوصافهم الحميدة المقتدون، ويُعرف ما منَّ الله عليهم به من الأوصاف الزكيَّة، وما نشَرَ لهم من الثناء بين البرية، فهذا نوعٌ من أنواع الذكر، وهو ذكر أهل الخير.

فقد قرنت الآيات ذو الكفل (عليه السلام) مع إسماعيل واليسع، وقدمتهما عليه، وذكرت قبلهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وتقديم إسماعيل واليسع على ذي الكفل قد يدل على أنه كان بعدهما في الزمان، والله أعلم. هذا ما أورده القرآن الكريم عن ذي الكفل (عليه السلام)، حيث اكتفى بإيراد اسمه وبعض صفاته ضمن أسماء أنبياء آخرين وصفاتهم، ولا شك أن ذا الكفل كغيره من النبيين، داعياً إلى الله وإلى الوحدانية، مذكراً الناس بالموت والحياة البرزخية، والبعث، والقيامة، والحساب، والعقاب والثواب، وغيرها من العقائد التي أوحيّ بها إلى النبيّن لإرشاد أقوامهم، وتعليم الناس ما غاب عنهم من حقائق الدين، ودعوتهم إلى الإيمان بالغيب، وإلى القيم الأخلاقية التي غُرست محبتها في الفطرة الإنسانية، كالعدل والأمانة والصدق والإحسان، وإفراد العبادة لله وحده.

ثانياً: قصة اليسع عليه السلام:

اليسع لفظ عربي قديم، وهو من القدرة على الاستيعاب، أو الفهم الواسع، أو التوسع في الفهم والإدراك؟ والوسع والوساعة والوسع وعملية ارتقاء وارتفاع وتحضر، والواسع هو البحر، والمحيط الذي يصعب على الناس إدراك حدوده الواسعة. أو عمقه البعيد. ويسع اسم عربي قديم ويعني ذو السعة والقدرة على الفهم والإدراك والاستيعاب. وإن ساحة التفكير هو نطاق اهتمامه أوسع من ساحة الآخرين. الذين كانوا قد حصروا همومهم الحياتية. في أضيق نطاق وأناس، وتخلع عن التفكير في الآخرة. وهو اليسع.

وهناك من يراه أنه اسم أعجمي، قال القرطبي رحمه الله نقلاً عن النحاس: والحق في هذا أنه اسم أعجمي، والعُجمة لا تؤخذ بالقياس، إنما تؤخذ سماعاً، والعرب تغيُرها كثيراً، فلا ينكر أن يأتي الاسم الأعجمي بلغتين.

وجاء في تاريخ الطبري أنه "أليسع بن الأخطبوط"، ويقال أنه ابن عم إلياس النبي عليهما السلام، وخليفته على بني إسرائيل، ويقال إنه كان مستخفياً مع إلياس بجبل قاسيون، وأنه بُعث لأهل الشام بعد وفاة إلياس، وقيل إنه عاش في بعلبك، أو في بانياس بالقرب من اللاذقية، وكذلك قيل أن قومه كان قد شاع بينهم الشرك والإلحاد وعبادة الأصنام، وانتشرت في مجتمعاتهم الخطايا والآثام والمظالم، فبعث فالله إليهم اليسع لهدايتهم، فبدأ بدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وأن ينزهوه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصفٍ لا يليق بجلاله، وأن يلتزموا بشرعه، وذكّرهم بحساب الآخرة.

قال الدكتور زغلول النجار: والإشارة إلى نبيٍ قديم من أنبياء الله في القرآن الكريم مثل "اليسع" (عليه السلام)، تبقى وجهاً من أوجه الإعجاز العلمي الإنبائي والتاريخي الذي يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد للنبي الخاتم الذي تلقّاه بالنبوة والرسالة. وقال زغلول النجار: وأرجح الأقوال أن "اليسع" هو النبي الذي جاء ذكره في "العهد

القديم" تحت مسمّى "إليشع"، وأنه كان خادماً للنبي إلياس، وإن كانت قصته في العهد القديم قد أُحيطت بالإسرائيليات الخارجة عن حدود المنطق "سفر الملوك الأول، 19/190/21".

وقد ذكر ابن كثير أن "اليسع" من الأنبياء الذين نصّ القرآن الكريم على أسمائهم. والأخبار عن اليسع قليلة جداً، إن لم تكن نادرة، وعلى قلتها في كتب التاريخ، جلّها على الأقل لا تصح. ولم يتحدّث في القرآن الكريم عن قصة اليسع، فكل ما أورده هو ذكر اسمه ضمن أسماء الأنبياء في موضعين في:

1.سورة الأنعام، وأثناء ذكر أسماء ثمانية عشر نبياً. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 83-86].

2.في سورة ص: أثناء إيراد أسماء مجموعةٍ من الأنبياء، وذلك بعد عرض لقطاتٍ من قصص داود وسليمان وأيوب عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٨﴾﴾ [ص: 45-48]. ومن أراد التوسع في الروايات التاريخية التي لا دليل عليها فيرجع إلى كتب التاريخ.

ثالثاً: التعريف بالرسل والأنبياء، وأهم صفاتهم وضرورة الإيمان بهم، وحكمة إرسالهم، والأمور التي تفردوا بها:

إن إدريس والكفل وإلياس واليسع من أنبياء الله الذين ذكروا في القرآن الكريم، ومن أهم خصائصهم وصفاتهم النبوّة والرسالة، فهم من ضمن موكب الأنبياء والمرسلين الذين تميّزوا بصفات

خاصّة بهم، كالصدق والفطانة والتبليغ والعصمة ومكارم الأخلاق، والكمال في الخلقة الطاهرة، والسلامة من الامراض المنفّرة. ومن المهم للمسلمين أن يتعرفوا على الحكمة من إرسال الرسل، ووظائفهم وما تميزوا به من خصائص فريدة، وفيما يلي نذكر طرفاً يبيّن ذلك ويجلّيه:

1- تعريف الرسُل وصفاتهم:

الرسول في اللغة: مشتق من الإرسال، وهو التوجيه، فالرسول الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، آخذاً من قوله جاءت الإبل رسلاً، أي: متتابعة، وسُمّي الرسول رسولاً لأنّه ذو رسالة.

والرسول: اسم من أرسل، وكذلك الرسالة، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45].

واسم النبي: فعيل من النبأ مهموزاً، وأصله النبيء ترك الهمزة تخفيفاً، وهو بمعنى مُفْعِل ومُفْعِل فهو مُنْبِئ ومُنْبَأ، مُنْبِئ أي: مُخبرٌ من الله، قال تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: 3]، وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: 49].

فالنبي هو الذي يُخبر من الله، وهو الذي يُخبر الناس، أي: يُبلّغهم أمر الله ونهيه ووحيه، وقد يكون لفظ (النبي) من التنبّؤ غير مهموز، وهو الرفعة والمكانة.

أ- تعريف الرسول اصطلاحاً:

والرسول في الاصطلاح: هو رجل اصطفاه الله من البشر واختصّه بالوحي وأمره بتبليغه. وهذا التعريف يشمل الأنبياء أيضاً، لأنّ لفظَيّ النبيّ والرسول إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا[191].

ب- هل يُنبّأ الأنبياء قبل سنّ الأربعين؟

[191] موسوعة الأعمال الكاملة، للقرضاوي، 368/8.

يقول العلماء: الأنبياء لا يُنبؤون إلّا في سنّ الأربعين لكنّ هذا الغالب، ليس دائماً، لأنّ قوم إبراهيم (عليه السلام) قالوا: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: 60]، ومعنى (الفتى): صغير السن.

وقال الله تعالى في شأن سيّدنا يحيى بن زكريّا (عليهما السلام): ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: 12]. والحكم هو النبوّة، وسيّدنا عيسى ما زاد عمره عن ثلاث وثلاثين سنة[192].

ج- الرسالة اصطفاء:

إن الرسالة منحة إلهيّة يختصّ بها من يشاء من عباده، وفضلاً منه، ونعمة، وليست الرسالة درجة علميّة يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنّما هي اصطفاء واختيار للرسّل من بين سائر الناس. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ. اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: 124].

د- الرسول يوحى إليه:

إنّ أخصّ ما يُميّز الرسول عن سائر البشر هو أنّه يوحى إليه من الله عزّ وجل، فالرسول لا يصدر فيما يُبلّغه إلى الناس عن نفسه ورأيه، وإنّما يتلقّى ذلك بوحي من الله عز وجل. قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110].

والوحي لغة: الإعلام في سرعة وخفاء. واصطلاحاً: إعلام من الله لنبيّه بطريقة غير معتادة لدى البشر، تفيد الرسول العمل اليقيني القاطع بما أعلمه الله به[193].

---

[192] المصدر السابق، 372/8.

[193] المصدر السابق، 373/8.

هـ- طريق الوحي:

إنّ البشر يحصِّلون علمهم بطريق الحواس أو العقل، أمّا علم الأنبياء تنقسم إلى أنواع ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51].

النوع الأوّل: أن يُلقي الله سبحانه المعنى في قلب النبي مباشرة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾.

ويكون ذلك في اليقظة والمنام وله صور عدّة:

- إلقاء الله معنى يفيضه على قلب رسوله في حالة اليقظة يستيقن معه أنّه من عند الله عزّ وجلّ، بحيث لا يجد فيه شكّاً، ولا يستطيع له دفعاً ويُسمّى هذا النوع من الوحي (النفث في الرّوع)، والرُّوع: القلب وفي الحديث: «إنّ روح القدس نفث في رُوعي، أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفي رزقها وأجلها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب»[194].

وروح القدس: جبريل (عليه السلام).

ونفث في رُوعي: أي ألقى الوحي في قلبي.

- ومنها ما يكون رؤيا صادقة في النوم: ومن ذلك رؤيا إبراهيم (عليه السلام) وأمر الله إيّاه بذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102]. وفي صحيح البخاري، عن عائشة أمّ المؤمنين (رضي الله عنها) قالت: «أوّل ما بُدي به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلّا جاءت مثل فلق الصبح»[195].

---

[194] رواه ابن أبي شيبة في الزهد، رقم 35473، وقال الحافظ في المطالب العلية، (927)، فيه انقطاع.

[195] متفق عليه، رواه البخاري، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، رقم 4572، ومسلم كتاب الإيمان، رقم 231.

والنوع الثاني: ما يكون مكالمة بين الله تعالى وبين رُسُله، وهو المراد من قوله تعالى ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾. كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

والنوع الثالث: ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل (عليه السلام)، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

وذلك أشهر أنواع الوحي، ويسمّيه العلماء: الوحي الجليّ ووحي القرآن كلّه من هذا النوع، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: 195–192].

2- الفرق بين النبي والرسول:

اختلف العلماء في التفريق بين معنى النبي والرسول، على أقوال: فرأى بعضهم أنّهما سواء، فالنبيّ والرسول هما لفظان لمعنىً واحد، ورأى البعض: أنّهما متفرّقان من وجه، ويجتمعان من وجه، كما قال القاضي عياض: والصحيح والذي عليه الجمَّاء الغفير، أنّ كلّ رسول نبي وليس كلّ نبي رسولاً[196].

وإن الراجح في الفرق بين النبيّ والرسول، هو أنّ الرسول من بُعث بشرع جديد، وأُمر بتبليغه، والنبيّ من أُمر بالتبليغ ولكن بشرع من سبقه من الرسل، كحال أنبياء بني إسرائيل الذين كُلِّفوا بتبليغ شريعة موسى (عليه السلام) والمراد بالشرع هنا، هو: التشريع الذي يحوي شيئاً جديداً لم يكن له في التشريع السابق، كما في حال عيسى (عليه السلام) فقد قال الله في شأنه: ﴿وَمُصَدِّقًا

[196] الشفاء في التعريف بحقوق المصطفى، 251، تفسير القرطبي، 80/12.

لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: 50].

3- أهمّ صفات الرسل والأنبياء (عليهم السلام):

إن الرسل هم سفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحقّ، ودعوتهم إلى الخير. وإن هداية البشر مهمّة عظيمة، لا يصلح لها إلّا من توفّرت فيهم صفات رفيعة من الكمالات الإنسانيّة، فالرسول رجل اصطفاه الله من البشر واختصّه بالوحي، وأمره بتبليغه، فهو مصطفى، وموحى إليه، ومُبلّغ عن الله ومِن أهمّ صفاتهم المتعلّقة بالرسالة:

أ- الصدق:

فالرّسل صادقون في أقوالهم وأعمالهم، وقد قال تعالى: على لسان الكافرين حين يُبعثون من قبورهم يوم القيامة: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 52]. والرسالة لا يصلح لها كذّاب والرسل مُبلّغون عن الله تعالى، وداعون إلى الحق قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: 105]. فيستحيل على النبيّ الكذب، وذلك بنقل وحي الله تعالى إلى الناس، فلو صدر منه الكذب لتسرّب شكّ الناس إلى الوحي الذي ينقله إليهم[197]. ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: 44-47].

[197] موسوعة الأعمال الكاملة، 378/8.

ب– الفطانة:

الفطنة: هي أن يكون الرسول ذكيّاً عميق الفهم، حاضر البديهة، قويّ الحُجّة، سديد الرأي، ليس غبيّاً ولا بليداً، لأنّ الرسول يُربّي أمّته، ويجادل خصومه، ويقيم البراهين على صحّة ما جاء به[198].

ج– التبليغ:

لا بد لهذا الصادق الفَطِن أن يُبلّغ ما أوحي إليه من الأحكام والشرائع، وهذا مقتضى الرسالة، فقد قام الأنبياء (عليهم السلام) بتبليغ الرسالة حقّ التبليغ.

د– العِصمة:

وهي حفظ الله تعالى رُسله من المعاصي والذنوب، ليكونوا أسوة حسنة للناس، ولهذا نؤمن نحن المسلمين بعقيدة (عصمة الأنبياء) من الخطايا والرذائل التي تنافي تكليفهم بهداية البشر، وتنفّر الناس منهم، وتجعلهم عرضة للانتقاد.

وإن معنى العصمة: أنّهم لا يتركون واجباً، ولا يفعلون محرّماً، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخُلُق الكريم، فأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم دائرة بين الواجب والمندوب، فهم معصومون عن الكبائر وعن المنفّرات، ورسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم) معصومون في تبليغ الوحي عن الكذب والنسيان والغفلة، ومعصومون عن الزيادة فيه أو إخفاء بعضه. وهم معصومون أيضاً من الوقوع في كبائر الذنوب، وعن الصغائر التي تدلّ على خَساسة الطبع، صيانة لعلوِّ مكانتهم[199].

هـ– مكارم الأخلاق:

إن الرسل متّصفون بأرفع الكمالات الإنسانيّة، ويتحلّون بأسمى الأخلاق الفاضلة، مثل الكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعفّة، والأمانة، والحلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق، ولذا

---

[198] المصدر السابق، 379/8.

[199] موسوعة الأعمال الكاملة، 381/8-382. وللتوسع: العصمة في عقيدة أهل السنّة، منصور بن رشد التميمي، ص15؛ دراسات في التفسير الموضوعي، د. زاهر الألمعي، ص250؛ العصمة في الفكر الإسلامي، حسن حميد، ص44-46.

فقد وصف الله تعالى نبيّنا الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. فالرسالة لا يصلح لها بخيل، ولا حقود، ولا حسود، وإنّما يصلح لها من اتّصف بكرم النفس وطهارتها، وتحلّى بالأخلاق الفاضلة، وإنّما خصّ الله رسله بهذه الصفات ليصحّ الاقتداء بهم، ولو لم يكونوا متميّزين بهذه الفضائل، معصومين من النقائص، لما كانوا أهلاً لاختصاص الله إياهم بوحيه، ولضعف ثقة الناس بهم ولضاعت الحكمة من رسالتهم[200].

هـ- الكمال في الخلقة الظاهرة والسلامة من الأمراض المنفّرة:

وكما يجب الإيمان بصدق الرسل وأمانتهم، وتبليغهم وفطانتهم وعصمتهم، فكذلك يجب الإيمان بكمال خلقتهم، فهم يتميّزون بسلامة أبدانهم ممّا تنفر منه الطباع السليمة، فلا يمرضون مرضاً منفّراً أو مُقعداً عن تبليغ رسالاتهم، كالجدري، والجذام، والبرص، والصرع. أمّا الحمّى، فإنّها قد تصيبهم؛ لأنّها لا تمنعهم من أداء رسالتهم، وقد كان النبي ﷺ يمرض، وتُصدّع رأسه، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك وعكاً شديداً، فمسسته بيديّ، وقلت: يا رسول الله إنّك توعك وعكاً شديداً، فقال ﷺ: «أجل، كما يوعك رجلان منكم»[201].

وما يُحكى عن سيّدنا أيّوب (عليه السلام) من أنّه اشتد به المرض، وصار الدود يخرج من بدنه، كذب وافتراء وتشويهات إسرائيليّة يتنزّه منصب النبوّة عنها[202].

4- الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

الإيمان بأنبياء الله ورُسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتّى يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ويصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات

---

[200] موسوعة الأعمال الكاملة، 390/8.

[201] رواه البخاري، كتاب المرضى، بَاب وَضْعِ الْيَدِ عَلَى الْمَرِيضِ، رقم 5228.

[202] موسوعة الأعمال الكاملة، 391/8.

إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمم، وجاهدوا في الله حقّ جهاده.

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177]. ومن السنّة قول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث»[203].

وإن الإيمان بأنبياء الله تعالى ورُسله لا يتمّ حتّى يؤمن العبد بهم جميعا من غير حصر، مَن قصّهم الله علينا، ومن لم يقصص، فقد أخبرنا جلّ وعلا أنّ هناك أنبياء لم يقصصهم علينا. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: 78]. فنؤمن بما سمّى الله في كتابه من رسله، ونؤمن بأنّ الله سوّاهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلّا الذي أرسلهم، ونؤمن بمحمد ﷺ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إذ إيمانك بسائر الرسل: إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد إقرارك به وتصديقك إيّاه دائباً على ما جاء به، فإذا اتّبعت ما جاء به أدّيت الفرائض وأحللت الحلال، وحرّمت الحرام، ووقفت عند الشبهات وسارعت في الخيرات[204].

ومن أطاع رسولاً واحداً فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحدًا منهم فقد عصى الجميع، لأنّ كلّ رسول يصدّق الآخر ويقول: إنّه رسول صادق، ويأمر بطاعته، فمن عصاه فقد عصى مَن أُمر بطاعته[205].

---

[203] البخاري، كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ رقم 48.

[204] مجموع الفتاوى، 313/7.

[205] المصدر السابق، 180/19.

5- أعداد الرسل:

أرسل الله سبحانه رسلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عددهم إلّا الله سبحانه، وقد قصّ القرآن الكريم علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164].

والآيات القرآنيّة تشير إلى أنّ الأنبياء والرسل أعدادهم وفيرة ومن دلائل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ﴾ [المؤمنون: 44]. أي: متتابعين، ودلّت الآية على أنّ الرسل (عليهم السلام) تتابعوا واحداً تلو الآخر، ممّا يدلّ على كثرتهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: 36]، وقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 6]، و(وكم): هنا خبريّة، معناها التكثير، والمعنى: ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقة. وقد ورد ذكر خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان بن داود، وأيوب، ويونس، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، وزكريّا، ويحيى بن زكريّا، وعيسى، ومحمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ومن هؤلاء الخمسة والعشرين أربعة من العرب وهم: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد (صلّى الله عليهم أجمعين)، وقد وردت في بعض الأحاديث الضعيفة أعداد المرسلين، وهي أحاديث لا تقوم بها حجّة، ولا ينبغي لأهل العلم والإيمان أن يشغلوا الناس ويضيّعوا أوقاتهم بها.

وقد اختلف في ذي القرنين، وتُبّع، والخضر هل هم أنبياء أم لا؟

فذهب طائفة من أهل العلم إلى أنّ ذا القرنين نبي من الأنبياء وكذلك تُبّع، والأَولى أن يتوقّف في إثبات النبوّة لهما، لما صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما أدري تُبّع أنبياء أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبياء كان أم لا»[206].

وأمّا الخضر فقد رجّح الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي (رحمه الله) أنّه نبي، لقوله تعالى في آخر قصته: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: 82] أي: أنّه قد أوحى إليه فيه[207].

6- التفاضل بين الأنبياء والرسل:

وقد أخبر القرآن الكريم أنّ الله فضّل بعض الرسل على بعض، فقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: 253]. والتفضيل راجع إلى اختيار الله تعالى، بمزايا وهبها الله لنبيّه أو لأمّته أو لرسالته.

وأفضل الرسل على الإطلاق هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم هو رسولنا محمد ﷺ، إذ إنّه جمع كلّ ما تفرّق في الرسل السابقين ورسالاتهم من مزايا ومحاسن وكمالات، فهو أفضل المرسلين وسيّدهم، ورسالته أكمل الرسالات وأعمّها وأشملها وأمّته خير أمّة أُخرجت للناس، ودينه هو الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

وأفضل أولي العزم بعد رسولنا محمد ﷺ، هو أبونا إبراهيم (عليه السلام) واختلف في ترتيب الثلاثة الباقين بعدهما[208].

7- أولو العزم من الرسل:

العزم: القوّة في الدين، والإمامة في الصّبر، والتقوى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186].

---

[206] رواه الحاكم في الإيمان، (أما حديث معمر) رقم 103، وصحّحه على شرط الشيخين.

[207] موسوعة الأعمال الكاملة، 402/8.

[208] المصدر السابق نفسه.

والراجح أنّ أولي العزم من الرسل خمسة وهم: نبيّنا محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام). وقد خصّهم الله بالذكر في كتابه في بعض المواضع:

– كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: 7].

– وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

وفي الآيتين دليل على أنّ هؤلاء الخمسة هم أولو العزم؛ لأنّ الله تعالى ذكر الأنبياء ثمّ عطف عليهم هذه المجموعة، وعطف الخاصّ على العام يفيد أنّ للخاص زيادة في الفضل.

وخاطب الله تعالى نبيّه محمّداً بقوله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35].

أمّا سبب تسميتهم بذلك، فلما تميّزوا به من الهمّة العظيمة في الدعوة إلى الله، والصبر على ما نالهم من الأذى الشديد في سبيل الله، والثبات في مواجهة الباطل، والقوّة في الحقّ.

قال ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35]: "ذوو الحزم والصبر"، وقال الضحّاك: "ذوو الجِدِّ والصبر"[209].

وقد أثنى الله على أولي العزم من الرسل لما فيهم من جميل الخِلال، وعِظَم الصفات، كما قال تعالى عن نبيّه نوح (عليه السلام): ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

وقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل: 120-121]. وقال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: 125]. والخُلّة: هي كمال المحبّة.

---

[209] تفسير البغوي، 207/4.

وقال عن نبيّه عيسى (عليه السلام): ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45]. وخاطب خاتم رسله محمّداً ﷺ، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21][210].

8- حكمة إرسال الرسل عامّة:

إن من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل، هو أنّ الخلق بحاجة إلى الرسل ليُبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء (عليهم السلام)، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رُسُلاً مبشّرين ومنذرين!.

فالرسل بُعثوا يُهذّبون العباد، ويُخرجونهم من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد، ويُحرّرونهم من رِقّ عبوديّة المخلوق، إلى حرّية عبادة ربّ العالمين الذي أوجدهم من العدم وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء، ليكونوا إمّا أشقياء وإمّا سُعداء.

ولو ترك الناس هملاً دون إنذار وتخويف، لعاشوا عيشة ضنكاً في جاهليّة جهلاء، وضلالة عمياء، وعادات منحرفة، وأخلاق فاسدة، وأصبحت الحياة مجتمع غاب، القويّ فيهم يأكل الضعيف، والشريف فيهم يذلّ الوضيع، وهكذا فاقتضت حكمته جلّ وعلا ألّا يخلق عباده سُدى ولا يتركهم هملاً، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36].

ومن رحمته جلّ وعلا بهم، أن منّ عليهم فبعث رُسُلاً مبشّرين ومنذرين يتلون عليهم آيات ربّهم، ويعلّمونهم ما يصلحهم، ويرّشدونهم إلى مصدر سعادتهم في الدنيا والآخرة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين[211].

---

[210] موسوعة الأعمال الكاملة، 404/8.

[211] نوح والطوفان العظيم، ص81.

أ– قطع المعاذير في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

ب– إزاحة الغفلة والإعداد للهداية:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: 119].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45-46].

وقال تعالى: ﴿مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: 2].

ج– رفع الاختلاف وردّ الناس إلى أصول يتّفقون عليها:

قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 213].

د– إقامة القسط بين الناس:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

فهدف الرسل والرسالات السماويّة كلّها: إقامة العدل بين الناس، وليس المراد إقامة التعادل والتوازن بين بعضهم البعض فقط، بل بين القيم بعضها وبعض، والفضائل بعضها وبعض، والحقوق بعضها وبعض، فلا ينبغي أن يطغى حقّ على واجب، ولا أن يطغى رجل على امرأة، ولا أن يطغى حاكم على محكوم، ولا أن يطغى الفرد على المجتمع، والمجتمع على الفرد، أو أن تطغى المعاني الرُّوحيّة على المعاني المادّيّة، أو المادّيّة على الرُّوحيّة، إنّه التوازن، إنّه العدل الذي

جاء به الرسل جميعاً: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)﴾ [الرحمن: 8-9]. لا طغيان، ولا إخسار، ولا تطفيف، ولا إفراط، ولا تفريط[212].

هـ- الأسوة الحسنة:

إنّ مهمّة الرسل (صلوات الله وسلامه عليهم) هي الدعوة إلى الله، وإلى الحقّ والخير، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك، وتطبيق ليَقتدي الناس بهم.

- قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: 90].

- وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾ [الأحزاب: 21].

وهذه أهمّ المهمّات التي يقوم بها الرسل (عليهم السلام) في هداية الناس إلى الحقّ والخير، وتحذيرهم من الباطل والشرّ، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الكهف: 56][213].

9- وظائف الرسل:

إنّ للرسل (عليهم الصلاة والسلام) غايات عظمى، ووظائف كبرى، وأهدافاً سامية، أجمل بعضها في النقاط التالية:

- تبليغ الشريعة الربّانيّة إلى الناس.
- تبيين ما أنزل من الدين.
- دلالة الأمم على الخير، وتبشيرهم بالثواب المعدّ لهم، وتحذيرهم من الشرّ، وإنذارهم بالعقاب الرباني.
- إصلاح الناس بالقدوة الطيّبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال.

---

[212] موسوعة الأعمال الكاملة، 409/8.

[213] المصدر السابق نفسه.

- إقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.
- شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة قد بلغوهم البلاغ المبين.

فهذه بعض وظائف المرسلين التي تزيدهم شرفاً إلى شرفهم، وفضلاً إلى فضلهم، ويكفيهم فخراً أنّهم يُبلّغون عن ربّ العالمين، فسبحان من خصّهم بهذه الرتبة العليّة، ومنحهم هذه الوظيفة السنيّة، واصطفاهم واختارهم من بين سائر عباده، ليقوموا بهذه الخدمة المرضية[214]، ويمكن التوسّع في وظائف الرسل بالرجوع إلى كتابي (نوح (عليه السلام) والطوفان العظيم).

10- أمور تفرّد بها الأنبياء:

أ- الوحي:

خصّ الله الأنبياء دون سائر البشر بوحيه إليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: 110].

وهذا الوحي يقتضي عدّة أمور، يقارفون بها الناس، فمن ذلك تكليم الله بعضهم، واتصالهم ببعض الملائكة، وتعريف الله لهم شيئاً من الغيب، يقول الله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: 26-27].

ومن ذلك الإسراء بالرسول ﷺ إلى البيت المقدس، والعروج به إلى السماوات العُلا، ورؤيته الملائكة والأنبياء، واطّلاعه على الجنّة والنار، ومن ذلك رؤيته للمعذَّبين في قبورهم، وسماعه تعذيبهم، وفي الحديث: «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»[215].

---

[214] النبوات، ابن تيمية، 1/28-29.

[215] صحيح مسلم، كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم 5113.

ب- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

وممّا اختصّهم الله به أنّ أعينهم تنام وقلوبهم لا تنام، فعن أنس (رضي الله عنه) في حديث الإسراء: «والنبيّ نائمة عينه، ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»[216].

وهذا وإن كان من قول أنس إلّا أنّ مثله لا يُقال من قبل الرأي، كما يقول ابن حجر[217]، وقال ﷺ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»[218].

ج- الأنبياء لا يُورِّثونْ:

ممّا اختصّ الله به الأنبياء أنّهم لا يورِّثون، بل ما تركوه من الأموال يكون صدقة من بعدهم، فعن عائشة (رضي الله عنها): أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»[219].

والحكمة من ذلك: أنّ الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورِّثوا دَيناً، ولئلّا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوّتهم بأنّهم طلبوا الدنيا وخلَّفوها لورَثَتهم[220].

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: 16]، فالمراد بهذا الإرث: العلم والنبوّة والملك، وليس المراد وراثة المالك، لأنّه قد كان له بنون غيره، فما كان ليُخصَّ بالمال دونهم، ولأنه قد ثبت في (الصحاح) من غير وجه، عن جماعة من الصحابة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»[221].

وفي لفظ: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورِّث»، فأخبر الصادق المصدوق أنّ الأنبياء لا تورَث أموالهم عنهم كما يورِّث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج، لا يخصُّون

---

[216] صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَاب كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، رقم 3305.

[217] فتح الباري، 670/6.

[218] صحيح البخاري، كتاب المناقب، بَاب كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) تَنَامُ عَيْنُهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، رقم 3304.

[219] صحيح مسلم، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب حُكْمِ الْفَيْءِ رقم 3302.

[220] منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، 195/4.

[221] سبق تخريجه.

بها أقرباءهم، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضّلهم[222].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: 6]، ليس المراد به إرث المال، إنّما إرث العلم والنبوّة، وفي الحديث: «وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر»[223].

د- تخييرهم عند الموت:

إنّ ممّا تفرّد به الأنبياء أنّهم يُخَيَّرون بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ: «ما من نبيّ يمرض إلّا خُيِّر بين الدنيا والآخرة، وكان في شكواه الذي قُبِض فيه أخذته بحّة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ[224] الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: 69]، فعلمت أنّه خُيِّر»[225].

هـ- لا تأكل الأرض أجسادهم:

وإن من إكرام الله لأنبيائه ورُسله (عليهم السلام) هو أنّ الأرض لا تأكل أجسادهم، فمهما طال الزمان، وتقادم العهد تبقى أجسادهم محفوظة من البَلى، وفي الحديث: «إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[226].

---

[222] البداية والنهاية، 17/2.

[223] مسند أحمد، مسند الأنصار، رقم 20723.

[224]

[225] صحيح البخاري، كتاب التفسير، بَاب فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ، رقم 4220.

[226] سنن ابن ماجه، بَاب فِي فَضْلِ الْجُمُعَةِ، رقم 1075.

و- العصمة:

إن العصمة من الأمور التي خصّ الله تعالى بها أنبياءه ورُسله (عليهم السلام) دون سائر البشر، وقد عَرّفها الراغب الأصفهانيّ في المفردات، فقال: حِفظه إيّاهم أوّلاً بما خصّهم به من صفاء الجوهر، ثمّ بما أولاهم من الفضائل الجسميّة والنفسيّة، ثمّ بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثمّ بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق[227].

وقد أخذ الحافظ بن حجر تعريف الراغب بشيء من التصرف فقال في الفتح: وعصمة الأنبياء -على نبينا وعليهم الصلاة والسلام- حِفظهم من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات النفسيّة والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة[228].

ومن خلال معرفة الرسالة والنبوة، وصفات الأنبياء والمرسلين، والحكمة من إرسالهم ووظائفهم، وما تفرّدوا به، نتعرف على صفات إدريس وذي الكفل وإلياس واليسع عليهم السلام.

---

[227] مفردات ألفاظ القرآن، الأصفهاني، ص337.

[228] فتح الباري، (51/11).

الخلاصة والنتائج:

1. اختلف المؤرخون في اسم إدريس ونسبه ومولده، فقد عُرف بالعبرية باسم "خنوخ"، وبالترجمة العربية "أخنوخ"، وعند الإغريق (اليونان) باسم "هرمز"، وعند المصريين بـ "هرمس". وقيل عنه: هرمس الهرامسة وأسد الأسود، وذكره القرآن الكريم باسم "إدريس" عليه السلام.
2. قيل: أن "إدريس" (عليه السلام) سمّي بهذا الاسم لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث، وقيل: لأنه توصّل بمداومة الدرس إلى علمٍ غزيرٍ بما نزل من الوحي قبله، وقيل: هو من ترك أثراً باقياً على مر الزمن، أو هو العلامة التي لا تمحى ولا تزول مع مرور الأيام.
3. ذكرت بعض المصادر التاريخية أن إدريس عاش في الفترة التي بين آدم ونوح عليهما السلام، وهي فترة ما قبل الطوفان، أي أقدم من 5000 ق.م، وهناك عدة آراء للعلماء المسلمين في مولد إدريس ومكان نشأته وفترة بعثته، فقد ودرت في هذا الشأن روايات متباينة لا أدلة قطعية على صحة واحدة منها.
4. جاء في نسب إدريس (عليه السلام) أنه جد أبي نوح (عليه السلام)، ابن لامك بن متوشالح بن أخنوخ، وهو ابن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر، وهو في عمود نسب رسول الله على ما ذكره غير واحد من علماء النسب، ولكن لا يثبت شيءٌ من ذلك من حيث الصحة والدقّة.
5. خلاصة ما أجمع عليه أغلب المؤرخين والمفسرين في نسب إدريس (عليه السلام) أنه من أصول نوح، وأنه أول مرسلٍ ب آدم (عليه السلام)، وأنه قبل نوح وبينهما ألف سنة، لكن هذا غير مسلم عند كثير من المحققين، ولا يمكن الجزم بما قال به الكثير من المؤرخين.

6. اختلف المؤرخون والمفسرون أيضاً في مكان ولادة ونشأة إدريس (عليه السلام)، فمنهم من قال أنه ولد وعاش في بابل في العراق ثم هاجر إلى الشام ومرّ بفلسطين ثم استقر في مصر، ومنهم من قال أنه ولد ونشأ في صعيد مصر، وأن بني شيث وبني أنوش وقنيان ومهلائيل كانوا قد سكنوا الهضبة الشرقية لوادي النيل.
7. بغض النظر عن مكانة ولادة ونشأة إدريس (عليه السلام)، فقد أجمع المؤرخون والمفسرون أنه دعا إلى لعبادة الخالق ولتوحيد الله تعالى، وأمر الخلائق الصلاة والزكاة، ومجاهدة الأعداء، وحارب عقائد المشركين والوثنيين.
8. اختلفت مسميات إدريس (عليه السلام) وألقابه باختلاف الشعوب والترجمات، حتى قاربت العشرين اسماً، أشهرها إدريس (عليه السلام) الوارد في القرآن الكريم الذي يعني الدارس والمتعلم، وخنوخ في العبرية، وأخنوخ في ترجمات العهدين القديم والجديد –التوراة والإنجيل–، وهرمس الحكيم في المصرية القديمة واليونانية، غير أن جميع المسميات تلك ترمز إلى شخص واحد وهو النبي إدريس عليه السلام. وقد تداخلت شخصية إدريس في الكتب التاريخية مع عدة شخصيات معروفة في أكثر من حضارة قديمة، ومن هذه الشخصيات هرمس اليوناني، وأوزوريس المصري، وأخنوخ التوراتي.
9. تجمع معظم الروايات التاريخية والدينية على أن إدريس (عليه السلام) كان مجمّعاً للعلوم والمعارف، فكأنه منتهى العلم والحكمة والمعرفة في عصره، وأن جميع العلوم والمعارف قبل طوفان نوح صدرت عن إدريس (عليه السلام) الذي عُرف بـ " هرمس الأول" في بعض

الروايات التاريخية، فهو شخصية رائدة في العلم والحكمة في الحضارات القديمة، وتُنسب إليه الأسس الأولى للحضارة الإنسانية –بشقيها المادي والمعنوي– قبل الطوفان.

10. ذكرت الروايات التاريخية أن إدريس (عليه السلام) أوّل من خطّ بالقلم، ورسم الخطوط بالبنان، ودوّن المعارف، وأنّه أول من نظر في الطب والنجوم، وخطط المدن ومصّر الأمصار وبنى الأهرام وخاط الثياب، وأول من بنى المعابد وعبد الله تعالى فيها.

11. إن ما ورد من روايات عن إدريس (عليه السلام) من خصائص فريدة وصفات مميزة وقدرة فائقة أولاه الله بها، سواءً في متونه المصرية القديمة، أو الروايات اليهودية، أو الروايات الإسلامية، تؤكد جميعها على مكانته وقدره العالي عند المولى جلَّ جلاله، وكذلك معرفته السامية بقدرة الخالق سبحانه وتعالى، وخضوعه وطاعته للقدرة الإلهية، ودعوته وصبره ومثابرته على حث البشر إلى طاعة الله مما جعله جديراً للاقتداء به.

12. النبي إدريس (عليه السلام) هو الرسول المصدَّق لآيات الله في خلقه، وهو نموذج العابد العامل الخاضع لأوامر الله واجتناب نواهيه، وهو الصابر المجاهد مع قومه في سبيل الله، وتعاليمه هي طرق الوصول للمعرفة الإلهية الحقة؛ استناداً لقول الله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]. وهو من الأنبياء الذين أنعم الله عليهم بالاجتباء والهداية من ذرية آدم (عليه السلام)، فقال تعالى في سورة مريم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ [مريم: 58]، ثم هو الذي شرّفه الله بالرفع إلى المكان العلي، فقال تعالى في حقّه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57].

13. ركزت الروايات اليهودية على تضخيم شخصية أخنوخ "إدريس عليه السلام" وإضفاء صفات خيالية عليه، كقيادته للملائكة وتوجيه الأوامر لهم، مع تشويه صورة الملائكة بأنهم طلبوا شفاعة إدريس (عليه السلام) عند الرب، كما تميزت الروايات اليهودية باستغلال القصص لترسيخ التفوق اليهودي ونسبة الأنبياء لبني إسرائيل، فعلى الرغم من قدم عهد أخنوخ، وأنه ليس من أنبياء بني إسرائيل، إلا أن اليهود يزعمون نسبته لأنفسهم. أما الروايات الإسلامية فاعتمدت على ما ورد في القرآن الكريم من تكريم إدريس ورفعه مكانًا عليًّا، لكنها لم تسلم من بعض الإسرائيليات التي تسربت إلى كتب المفسرين، وقد نُبّه إلى بطلانها والتحذير منها.

14. يمثل دخول الإسرائيليات في التفاسير الإسلامية خطرًا كبيرًا على وعي القارئ المسلم، إذ تجذبه تلك الروايات ظنًا منه أنها تزيد معرفته، وهي في الحقيقة تُضعف صلته بالمصادر الصحيحة. ويقتضي البحث عن الحق والحقيقة الاعتماد على المعلومة الدقيقة المستمدة من القرآن والسنة دون مبالغة أو إطناب، لذا تبرز الحاجة إلى تنقية التفاسير من الروايات الإسرائيلية التي تخالف العقل والنقل، من خلال تعاون المتخصصين في التفسير والحديث والدراسات العبرية، مع حصر دراستها على الباحثين المؤهلين؛ منعًا لاستغلالها في تشويه النصوص الإسلامية وتزييف الحقائق عن سير الأنبياء والمرسلين.

15. أتى إدريس (عليه السلام) بمناسك وشريعة شبه كاملة، فترك جملةً من الشرائع، ومنها إقامة العدل وإقامة الصلاة، وصيام أيّامٍ معينة وأداء الزكاة على الأموال، والتطهّر من الجنابة، وتحريم لحم الحمار والكلب، وتحريم المسكر وتقديم القرابين، وتسمية أعيادٍ في أوقاتٍ معروفة.

16. اختلف العلماء والمفسرون والأخباريون في زمان بعثة إدريس (عليه السلام) فذهب جمهور العلماء إلى أنه كان بعد آدم وقبل نوح، فهو عندهم النبي الثاني من حيث الوجود التاريخي، وذهب آخرون من العلماء المحققين إلى أن إدريس (عليه السلام) متأخرٌ في الزمان، وأنه من أنبياء بني إسرائيل، وقد يكون بعد داود وسليمان عليهم السلام، وقدم كلال الفريقين عدداً من الاستدلالات والاجتهادات والإشارات التي تبرهن رأيه وقوله من القرآن الكريم والحديث النبوي، ولكن لا يملك كلا الفريقين دليلاً قاطعاً على أحد الإدعاءات، إذ لا وجود لدليل صريحٍ من القرآن ولا حديثٍ مرفوعٍ صحيح يجزم بزمان بعثة (عليه السلام)، ولو وجد ذلك الدليل لما وقع الخلاف.

17. قال الله تعالى في حق إدريس عليه السلام: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 56]، فوصفه بوصفين هما النبوّة والصدّيقيّة، فجمع الله تعالى لإدريس (عليه السلام) بين الصدّيقية الجامعة للتصديق التام والعلم الكامل واليقين الثابت والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه واختياره لرسالته، وهما الوصفان اللذان وُصف بهما إبراهيم (عليه السلام)، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41]، فإبراهيم صدّيقٌ ونبي، وإدريس صدّيقٌ ونبي، عليهم الصلاة والسلام. ومقام "الصدّيقية" مقامٌ عظيم للمقربين عند الله تعالى، وصف الله نبيّيه الكريمين إبراهيم وإدريس (عليه السلام)، ووصف به يوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا﴾ [يوسف: 46].

18. بعدما أثنى الله على إدريس بأنه صديقٌ نبي، أخبرنا بأنه رفعه عنده إلى مكان عليٍّ، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: 57]، والمكان العلي هو عالي القدر والمنزلة، وكل

الأنبياء مكرّمون عند الله، وكلهم رفعهم الله إلى مقامٍ ومكان عليٍّ عنده سبحانه. والرفعة هنا معنوية، والمكان المراد به منزلةٌ عليا، قال السعدي رحمه الله: أي: رفع الله ذكره في العالمين ومنزلته بين المقرّبين، فكان عالي الذكر وعالي المنزلة. وقد زعم بعض المفسرين أن ذكر المكان يدل على أنها رفعة مادية، ولكن لا وجه لتخصيص ذكر المكان بالرفعة الحسّية.

19. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: 58]، أي بالنعم الدينية والدنيوية، فقد أنعم الله تعالى عليهم بنعم لا تُلحق ولا تُسبق، فالله عزّ وجل هو المنعم على عباده، ومنهم إدريس (عليه السلام) وغيره من الرسل الكرام، فقد أنعم عليهم نعماً لا تعدّ ولا تحصى، والآيات المتعلقة بإدريس (عليه السلام) في سورة مريم أشارت إلى نعمة الصدّيقية والنبوة، وأنه رُفع إلى مكان علي، ونعم الله مطلقة وغير محدودة.

20. أثنى الله تعالى أيضاً على إدريس (عليه السلام) في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (85) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: 85-86]. أي: تذكَّر عبادنا الذين اصطفيناهم من خلقنا، وأنبياءنا الذين أرسلناهم إلى الناس، واذكرهم بأجمل ما يكون من الثناء والمدح، فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد مدحهم الله تعالى بوصفهم بالصبر، مما يدل على أنهم أتمّوه حقّ إتمامه، وأدّوا واجبه كما يليق بهم. كما وصفهم سبحانه بالصلاح، وهو صلاح يشمل القلوب والأقوال

والأعمال، وبفضل صبرهم وصلاحهم، شملتهم رحمة الله، ورفع ذكرهم بين الناس في الدنيا، وذلك أعظم تكريمٍ وأرفع منزلة.

21. إلياس (عليه السلام) هو إلياس النشبي بن العازر بن هارون بن عمران بن قاهت بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)، وقيل أنه إلياس بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، وقيل إنه من سبط يوشع، ولا دليل على ما يؤكد هذه الروايات عن نسبه من القرآن الكريم والسنة النبوية، فالقرآن الكريم لا يدلّنا إلا على شيءٍ واحد وأصل عام لكل البشرية، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84].

22. رجّح أغلب العلماء والمفسرين أن إلياس (عليه السلام) من أنبياء بني إسرائيل، مثل ذي الكفل واليسع وإدريس ويونس وأيوب عليهم الصلاة والسلام، رغم عدم وجود مستمسك واضح من القرآن الكريم ولا رواية صريحة من الأحاديث النبوية، وخالفهم في ذلك قلةٌ من المفسرين والمؤرخين. قال بعض المفسرين بأن يلزموا أنفسهم بوجود سبطٍ من أسباط بني إسرائيل كانوا قد استوطنوا في "بعلبك"، وعلى المشهور من الروايات الإسرائيلية أن الذي أسكنهم هو يوشع بن نون (عليه السلام) حينما فتح الشام، وكان من ضمنها المدينة المعروفة اليوم بـ "بعلبك"، قسمها لبني إسرائيل وأحلّ سبطاً منها ببعلبك، وهم السبط الذين كان منهم إلياس عليه السلام.

23. لم يتطرق المؤرخون المسلمين ولا مفسّرو القرآن الكريم، إلى مكان مولد النبي إلياس (عليه السلام) في كتبهم، فمكان مولده ليس معروفاً على وجه التحديد، كما أنه لم يُذكر في الكتب السابقة "العهد القديم والجديد"، مع اهتمام أسفار التوراة بذكر تفاصيل أماكن مولد أنبيائهم. فهناك من قال أنه ولد في جبال الأردن، إلا أنّ النصارى يعتقدون أنّ مسقط رأسه كان في موقع "مار إلياس"، وهي الآن كنيسة تطل من الجهة الغربية على بَيْسان وطبريا وجبل الشيخ.

24. يخبر العهد القديم أن إلياس (عليه السلام) قد عاش في المملكة الشمالية زمن الملك "أخاب" في القرن التاسع قبل الميلاد، ويميل بعض المؤروخين من أهل الكتاب إلى أن إلياس (عليه السلام) بُعث بعد تشتت دولة بني إسرائيل، وبالتحديد بعد سليمان (عليه السلام)، وذلك بسبب صراع ملوكهم وعظمائهم على السلطة، وما وصلوا إليه من الكفر والضلال الذي دخل عليهم من الأمم الأخرى، وقد سمح الملك أخاب لزوجته الوثنية "إيزابيل" بنشر عبادة قومها في بني إسرائيل، وكان قومها عباداً للأوثان، فشاعت العبادة الوثنية.

25. أُرسل "إلياس" (عليه السلام) بدعوته إلى السكان القاطنين في منطقة بعلبك، الذين كانوا يعبدون "بعلاً"، الإله "بعل"، وهو أحد آلهة كنعان من العرب باتفاق المؤرخين، وإليه نسبت "بعلبك" التي كان يقطنها الكنعانيون، وتحذير النبي لهم من عبادة هذا الصنم بالذات، دليلٌ على أنهم المخترعون لعبادته بالأصالة، بينما كان بنو إسرائيل يعبدونه بالاتباع والتقليد، هو وغيره من آلهة الأمم المجاورة لهم.

26. تدل طبيعة الآثار والنقوش على أن القوم القاطنين في بعلبك، قد وفدوا في موجات متتابعة واستقروا في أنحاء مختلفة منه، وأنهم أحد الأقوام الكنعانيين، وكانت تلك الهجرات

حوالي منتصف الألف الثالث ق.م، وقد استقر هؤلاء الكنعانيون على ساحل الإقليم السوري، وأطلق عليهم اليونان اسم "الفينيقيين"، وأما حدود منطقتهم فهي المنطقة التي تمتد حالياً في المناطق الساحلية من سوريا ولبنان وفلسطين، ويمثل نهر الفرات الحدود الشمالية له، بينما يشكل جبل الكرمل حدّها الجنوبي.

27. ورد اسم إلياس (عليه السلام) في موضعين في القرآن، الأول: في سورة الأنعام، وذلك ضمن مجموعة من الأنبياء، كانوا من ذرية إبراهيم (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 84-86].

28. الموضع الثاني لذكر إلياس (عليه السلام) هو في سورة الصافات بعد الحديث عن نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وهارون، وبعده جاء الحديث عن لوط ويونس عليهم الصلاة والسلام، وسجلت الآيات بعض ما جرى بينه وبين قومه الكافرين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: 123-132].

29. استنكر إلياس (عليه السلام) على قومه عبادة ودعاء "البعل"، فقال لهم: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: 125]، فالتحذير من عبادة هذا الصنم وترك عبادة الله كانت محور دعوة الرسول إلياس عليه السلام. و"بَعْلًا" اسم صنم كان يعبده أهل "بك"

من كنعانيي الشام، وهو أعظم أصنام قوم إلياس عليه السلام. وقد اتخذه بنو إسرائيل إلهاً تشبّهاً بجيرانهم الفينيقيين والكنعانيين وتقليداً لهم.

30. يخبرنا الله أن إلياس (عليه السلام) كان نبياً رسولاً، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 123]، ووصفه الله تعالى في سورة الأنعام بأنه "من الصالحين"، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: 85]، فقد عُدّ إلياس رديف زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام جميعاً، وفي هذا إشارة إلى أن هدايته واجتباءه وتفضيله كان من نوع هدايتهم عليهم السلام.

31. انتهت قصته إلياس (عليه السلام) مع قومه بانقسامهم إلى قسمين: أغلبية كافرة عذّبهم الله وأهلكهم، وقلة مؤمنة آمنت به أنجاهم الله مع إلياس (عليه السلام)، ولم يذكر القرآن الكريم كيف كان تعذيب الكافرين، ولا كيف كانت نجاة المؤمنين، ولا كيف كانت نهاية إلياس (عليه السلام)، فهذا من مبهمات القرآن.

32. في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الصافات: 129] ثناءٌ من الله على إلياس (عليه السلام)، ومعناه: أي أبقينا على إلياس الذكر الحسن والثناء الطيب في القادمين فيما بعد والآخرين، ويشمل ذلك المؤمنين الصالحين بعد إلياس وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام، كما تشمل الأمة المسلمة بكل أجيالها، أمة الخلافة والشهادة حتى قيام الساعة.

33. ذو الكفل نبيٌّ كريم ورد اسمه ضمن أنبياء آخرين في القرآن، وكان ذكره مرتين في سورة الأنبياء وفي سورة ص، و"ذو الكفل" لفظٌ وتركيب عربي قديم، وهو يعني المعطاء الضامن والكفيل، أي: الضامن المتعهد لدعوة الله تعالى أو الداعية لها، والمخصص بالكفالة والمستعد

لها إذا كانت عملاً إيجابياً منتجاً ومفيداً لإحقاق الحق في سبيل الله تعالى، ومن طبعه أنه يضمن ويكفل الناس، لا يخذلهم ولا يتخلى عنهم أبداً، وهو يتعهدهم باستمرار.

34. ثمة خلاف بين العلماء والمفسرين على نبوة ذي الكفل، فبعضهم قال إنه نبي، ومنهم من قال إنه ليس نبياً، ولكنه كان ملكاً عادلاً، وحكماً قسطاً وعبداً صالحاً، ورجّح بعضهم نبوّته واستدلوا على ذلك بأمور أهمها: أن الله تعالى قرن ذكره بذكر إسماعيل وإدريس في قوله سبحانه: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]. والغرض ذكره الفضلاء من عباده ليستأنس بهم، وذلك يدل على نبوته، وأن السورة ملقبة بسورة الأنبياء، فكل من ذكره الله سبحانه وتعالى فيها فهو نبي.

35. ذكر بعض المفسرين – ومنهم ابن عباس رضي الله عنهما– أن ذو الكفل كان خليفة اليسع (عليه السلام) في الملك على بني إسرائيل، وذكر بعضهم أنه كان نبيّاً، وذلك من غير دليل صريحٍ من الكتاب والسنة.

36. ورد ذكر ذو الكفل في القرآن الكريم في لمحةٍ سريعة، مقرونًا بمدح الله تعالى له مع جملةٍ من الأنبياء الصالحين الذين تحلّوا بالصبر على ما كُلّفوا به من مهامٍّ ورسالات. ولم تُروَ تفاصيل قصته مع قومه، فلم يُبيَّن زمنه ولا موضع دعوته، غير أنّ الرأي الأرجح والأكثر شيوعًا أنّه كان نبيًّا من أنبياء بني إسرائيل. وقد ذكرت الإسرائيليات بعض الروايات حول ذي الكفل وسبب تسميته بهذا الاسم، ونقل عددٌ من المفسرين والمؤرخين المسلمين تلك الأخبار، رغم كونها رواياتٍ باطلة لا تصح، إذ تنسب إلى ذي الكفل أمورًا لا تليق بمؤمنٍ صالح، فضلاً عن نبيٍّ كريم.

37. ذكر الله تعالى ذا الكفل في موضعين في القرآن الكريم، في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنبياء: 85-86]. وأثنى الله تعالى على إسماعيل وإدريس وذي الكفل بأنهم صابرون مرحومون صالحون، وهذا ثناء على ذي الكفل، وشهادةٌ من الله له بأنه صابرٌ مرحومٌ صالح، كباقي إخوانه الأنبياء. وذكره سبحانه في سورة ص: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴿٤٩﴾﴾ [ص: 45-49]. أي: واذكر هؤلاء الأنبياء بأحسن الذكر وأثني عليهم أحسن الثناء، فإنّ كلّاً منهم من الأخيار الذين اختارهم الله من الخلق، واختار لهم أكمل الأحوال من الأعمال والأخلاق، والصفات الحميدة والخصال السديدة.

38. هذا ما ورد في القرآن الكريم عن ذي الكفل (عليه السلام)، إذ اقتصر الذكر الإلهي له على اسمه وبعض صفاته، مقرونًا بذكر عددٍ من الأنبياء وصفاتهم. ولا ريب أن ذا الكفل، كسائر أنبياء الله، كان يدعو إلى التوحيد والإيمان بالله تعالى، مذكّرًا الناس بحقائق الموت، والحياة البرزخية، والبعث، والقيامة، والحساب، والجزاء. كما كان يبلّغ ما أوحاه الله إلى الأنبياء من تعاليمٍ تهدف إلى هداية أقوامهم، وتعريف الناس بحقائق الدين، ودعوتهم إلى الإيمان بالغيب، والتمسّك بالقيم الأخلاقية الراسخة في الفطرة الإنسانية، مثل العدل، والأمانة، والصدق، والإحسان، وتوحيد الله في العبادة دون سواه.

39. اليسع لفظ عربي قديم، وهو من القدرة على الاستيعاب، أو الفهم الواسع، أو التوسع في الفهم والإدراك، وهو من كانت ساحة تفكيره ونطاق اهتمامه أوسع من ساحة الآخرين

الذين كانوا قد حصروا همومهم الحياتية في أضيق نطاق وأناس، وتخلع عنها التفكير في الآخرة. وهناك من يرى أن "اليسع" اسم أعجمي.

40. جاء في تاريخ الطبري أن اليسع (عليه السلام) هو "أليسع بن الأخطبوط"، ويقال أنه ابن عم إلياس النبي عليهما السلام، وخليفته على بني إسرائيل، ويقال إنه كان مستخفياً مع إلياس بجبل قاسيون، وأنه بُعث لأهل الشام بعد وفاة إلياس، وقيل إنه عاش في بعلبك، أو في بانياس بالقرب من اللاذقية، وكذلك قيل أن قومه كان قد شاع بينهم الشرك والإلحاد وعبادة الأصنام، وانتشرت في مجتمعاتهم الخطايا والآثام والمظالم، فبعث فالله إليهم اليسع لهدايتهم، فبدأ بدعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وأن ينزهوه عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصفٍ لا يليق بجلاله، وأن يلتزموا بشرعه، وذكّرهم بحساب الآخرة.

41. "اليسع" من الأنبياء الذين نصّ القرآن الكريم على أسمائهم، والأخبار عن اليسع قليلة جداً، إن لم تكن نادرة، وعلى قلتها في كتب التاريخ، فإن جلّها على الأقل لا تصح. ولم يتحدّث القرآن الكريم عن قصة اليسع، فكل ما أورده هو ذكر اسمه ضمن أسماء الأنبياء في موضعين فقط، وهما في سورة الأنعام وسورة ص.

42. الموضع الأول في سورة الأنعام، وأثناء ذكر أسماء ثمانية عشر نبياً. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: 86-83]. والموضع الثاني في سورة ص، أثناء إيراد أسماء مجموعةٍ من الأنبياء، وذلك بعد

عرض لقطاتٍ من قصص داود وسليمان وأيوب عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: 45-48].

43. إن إدريس والكفل وإلياس واليسع من أنبياء الله الذين ذكروا في القرآن الكريم، ومن أهم خصائصهم وصفاتهم النبوّة والرسالة، فهم من ضمن موكب الأنبياء والمرسلين الذين تميّزوا بصفات خاصّة بهم، كالصدق والفطانة والتبليغ والعصمة ومكارم الأخلاق، والكمال في الخلقة الطاهرة، والسلامة من الأمراض المنفّرة.

44. الرسول في اللغة: مشتق من الإرسال، وهو التوجيه، فالرسول الذي يُتابع أخبار الذي بعثه، آخذاً من قوله، وجاءت الإبل رسلاً، أي: متتابعة، وسُمِّي الرسول رسولاً لأنّه ذو رسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: 45]. والرسول في الاصطلاح: هو رجل اصطفاه الله من البشر واختصّه بالوحي وأمره بتبليغه. وهذا التعريف يشمل الأنبياء أيضاً.

45. إن الرسالة منحة إلهيّة يختصّ بها من يشاء من عباده، وفضلاً منه، ونعمة، وليست الرسالة درجة علميّة يمكن الحصول عليها بالاجتهاد أو التعبّد أو التعلّم، وإنّما هي اصطفاء واختيار للرسّل من بين سائر الناس. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: 75].

46. إنّ أخصّ ما يُميّز الرسول عن سائر البشر هو أنّه يوحى إليه من الله عزّ وجل، فالرسول لا يصدر فيما يُبلّغه إلى الناس عن نفسه ورأيه، وإنّما يتلقّى ذلك بوحي من الله عز وجل.

47. البشر يحصّلون علمهم بطريق الحواس أو العقل، أمّا علم الأنبياء فينقسم إلى أنواع ذكرها الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51]. فالنوع الأوّل: أن يُلقي الله سبحانه المعنى في قلب النبي مباشرة في اليقظة والمنام، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾، والنوع الثاني: ما يكون مكالمة بين الله تعالى وبين رُسُله، وهو المراد من قوله تعالى ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164]، والنوع الثالث: ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل (عليه السلام)، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ وذلك أشهر أنواع الوحي، ويسمّيه العلماء: الوحي الجليّ ووحي القرآن كلّه من هذا النوع.

48. اختلف العلماء في التفريق بين معنى النبي والرسول، فرأى بعضهم أنّهما سواء، فالنبيّ والرسول هما لفظان لمعنىً واحد، ورأى البعض أنّهما متفرّقان من وجه، ويجتمعان من وجه، وإن الراجح في الفرق بين النبيّ والرسول، هو أنّ الرسول من بُعث بشرع جديد، وأُمر بتبليغه، والنبيّ من أُمر بالتبليغ ولكن بشرع من سبقه من الرسل.

49. إن الرسل هم سفراء الله تعالى إلى الخلق لهدايتهم إلى الحقّ، ودعوتهم إلى الخير. وإن هداية البشر مهمّة عظيمة، لا يصلح لها إلّا من توفّرت فيهم صفات رفيعة من الكمالات الإنسانيّة، فالرسول رجل اصطفاه الله من البشر واختصّه بالوحي، وأمره بتبليغه، فهو مصطفى، وموحى إليه، ومُبلّغ عن الله.

50. من صفات الرسول أنه صادق في أقواله وأعماله، وأنه ذكيّ، عميق الفهم، حاضر البديهة، قويّ الحُجّة، وسديد الرأي، وأنه معصومٌ بحفظ الله تعالى له من المعاصي والذنوب، ليكون أسوة حسنة للناس، ويتصف الرسول بأرفع الكمالات الإنسانيّة، ويتحلّى بأسمى الأخلاق

الفاضلة، مثل الكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعفّة، والأمانة، والحلم، والحياء، وسائر مكارم الأخلاق.

51. من صفات الرسل الكمال في الخلقة الظاهرة والسلامة من الأمراض المنفّرة، فهم يتميّزون بسلامة أبدانهم ممّا تنفر منه الطباع السليمة، فلا يمرضون مرضاً منفّراً أو مُقعداً عن تبليغ رسالاتهم، كالجدري، والجذام، والبرص، والصرع.

52. الإيمان بأنبياء الله ورُسله ركن من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتّى يؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، ويصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمم، وجاهدوا في الله حقّ جهاده، وإن الإيمان بأنبياء الله تعالى ورُسله لا يتمّ حتّى يؤمن العبد بهم جميعا من غير حصر.

53. أرسل الله سبحانه رسلاً إلى جميع الأمم، لا يعلم عددهم إلّا الله سبحانه، والآيات القرآنيّة تشير إلى أنّ الأنبياء والرسل أعدادهم وفيرة، وأنهم كانوا متتابعين، وقد قصّ القرآن الكريم علينا بعضاً منهم، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: 164]. وقد ورد ذكر خمسة وعشرين من الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وهم: آدم أبو البشر، ونوح شيخ المرسلين، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل بن إبراهيم، وإسحاق بن إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، ويوسف بن يعقوب، وشعيب، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان بن داود، وأيوب، ويونس، واليسع، وذو الكفل، وإلياس، وزكريّا، ويحيى بن زكريّا، وعيسى، ومحمّد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

54. أفضل الرسل على الإطلاق هم أولو العزم، وهم: نبيّنا محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام). وأفضل أولو العزم هو رسولنا محمد ﷺ، إذ إنّه جمع كلّ

ما تفرّق في الرسل السابقين ورسالاتهم من مزايا ومحاسن وكمالات، فهو أفضل المرسلين وسيّدهم، ورسالته أكمل الرسالات وأعمّها وأشملها وأمّته خير أمّة أُخرجت للناس، ودينه هو الذي ارتضاه الله لعباده إلى أن تقوم الساعة.

55. إن من حكمة الله تعالى في إرسال الرسل، هو أنّ الخلق بحاجة إلى الرسل ليُبلّغوهم ما يُحبّه الله ويرضاه، وما يغضب منه ويأباه، وكثير من العصاة والمنحرفين ضلّوا في متاهات الشقاوة، هذا مع وجود الأنبياء (عليهم السلام)، فكيف يكون الحال لو لم يُرسل الله تعالى رُسُلاً مبشّرين ومنذرين! فالرسل بُعثوا ليُهذّبوا العباد، ويُحرّروهم من رِقّ عبوديّة المخلوق، ويوصلوهم إلى حرّية عبادة ربّ العالمين الذي أوجدهم من العدم وسيفنيهم بعد الوجود، ويبعثهم بعد الفناء، ليكونوا إمّا أشقياء وإمّا سُعداء.

56. من مهام ومقاصد الرسل والرسالات: قطع المعاذير في الدنيا والآخرة، وإزاحة الغفلة والإعداد للهداية، تبليغ الشريعة الربّانيّة إلى الناس، ورفع الاختلاف وردّ الناس إلى أصول يتّفقون عليها، وإقامة القسط والعدل بين الناس، وإصلاح الناس بالقدوة الطيّبة، والأسوة الحسنة في الأقوال والأعمال، وإقامة شرع الله بين العباد وتطبيقه.

57. يتفرّد الأنبياء عن غيرهم من البشر بتلقيهم الوحيّ من الله سبحانه وتعالى، والعصمة من الذنوب والخطايا، وبأنهم لا يُورِّثونْ، وبأن أعينهم تنام ولا تنام قلوبهم، وأن الأرض لا تأكل أجسادهم، وأنّهم يُخَيَّرون بين الدنيا والآخرة عند الموت والاحتضار.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. أحكام القرآن، الجصاص، دار الكتب العلمية، بيروت، ج5.
3. أحسن القصص في القرآن الكريم، نائلة هاشم صبري، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2005م.
4. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، دار الفكر، بيروت، ج1.
5. الأنبياء في القرآن.. قصص وعبر، هدى جعفر، دار الفكر، القاهرة، 2011م.
6. أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، 1999م.
7. أنبياء الله الكرام، حنان قرقوني، دار القلم، دمشق، 2014م.
8. أنبياء القرآن، عبد المجيد همو، دار النفائس، عمان، 2009م.
9. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مرتضى الزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4.
10. إدريس وهود وصالح عليهم السلام من وحي القرآن، عقيل حسين عقيل، دار البيان، دمشق، 2010م.
11. الاستدراك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8.
12. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ج2.
13. الأحاديث الصحيحة، مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج7.
14. أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ج5.
15. أطلس المملكة العربية السعودية، محمد صبحي، وزارة المعارف، الرياض، 2000م.
16. البداية والنهاية، ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ج1–2.
17. البكاء والقيم الجمالية في النصوص القرآنية، قاسم صالح، دار المنار، القاهرة، 2012م.
18. تأملات في سورة مريم، عادل أحمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، 2013م.
19. التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج7.
20. التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ج15.
21. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ج5.

22. التفسير الوسيط، الواحدي، دار الفكر، بيروت، ج2.
23. تفسير الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج16.
24. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، 1415هـ، ج3،7.
25. تفسير البغوي، دار طيبة، الرياض، ج4.
26. تفسير الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج26.
27. تفسير السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ص 346،646.
28. تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ج15.
29. تفسير الطبري، دار الفكر، بيروت، ج16،21.
30. تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج7،12.
31. تفسير الماوردي، دار الفكر، بيروت، ج3.
32. تفسير النابلسي، دار المعرفة، دمشق، ج7.
33. تفسير سورة الأنبياء، أحمد نوفل، دار النفائس، عمان، 2014م.
34. تشبّة: من جلعاد من بلاد كنعان (إشارة جغرافية).
35. جلعاد: تقع شرق الأردن (مرجع جغرافي).
36. دراسات في التفسير الموضوعي، زاهر الألمعي، دار المنهاج، جدة، 2012م.
37. سوسيولوجيا الحضارة الكنعانية، فريدريك معتوق، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
38. سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.
39. سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، رقم 276،2313،904.
40. سنن النسائي، دار المعرفة، بيروت، ج3.
41. سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، رقم 1075.
42. صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض، رقم 6637،4220،3598،3305،3304،20.
43. صحيح ابن حبان، دار المعرفة، بيروت، ج25.

44. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم 817،5113،231،179،162،1110.
45. صفات الأنبياء من قصص القرآن.. إدريس ويعقوب ويوسف، عقيل حسين عقيل، دار الكتاب، دمشق، 2008م.
46. قصة آدم وحواء وإدريس ونوح وهود وصالح، مصطفى العدوي، دار ابن الجوزي، الدمام، ج1.
47. قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.
48. قصص الأنبياء، عاطف الزين، دار المنار، القاهرة، 2005م.
49. قصص الأنبياء، محمد الفقي، دار المنار، القاهرة، 2004م.
50. قصص الأنبياء والتاريخ، رشدي البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 2002م.
51. قصص القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، 2003م.
52. قصص القرآن.. قراءة قرآنية، عمرو الشاعر، دار الفكر، القاهرة، 2010م.
53. القصص القرآني، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ج4.
54. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ج4.
55. الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ج1.
56. كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ص 25–26.
57. مع الله، سلمان العودة، دار الإسلام اليوم، الرياض، 2009م.
58. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد عصفور، دار الفكر، عمان، 1998م.
59. مقدمة في كشف الظنون، حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت.
60. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ص 790.
61. المصطلحات في القرآن الكريم، محمد المخزون، دار الفكر، دمشق، ج6.
62. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، دار المعارف، الرياض، ج4.
63. موسوعة الأعمال الكاملة، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ج8.
64. موسوعة التفسير المأثور، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ج14.

65. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج16.
66. نوح والطوفان العظيم، دار القلم، دمشق، ص81.
67. الوجود التاريخي للأنبياء، سامي عامري، مركز تكوين، الرياض، 2018م.
68. وليد الربيع، الأحكام الفقهية من القصص القرآني، دار السلام، القاهرة، ص 373.
69. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط38، 2009م، ج2–4–6.
70. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ج6،11.
71. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ج6.
72. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4.
73. نبي الله إدريس (عليه السلام) بين المصرية القديمة واليهودية والإسلام، هدى درويش، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008م.
74. نبي الله إدريس، هدى درويش، دار الفكر العربي، القاهرة، 2008م.
75. نظرات في أحسن القصص، محمد السيد وكيل، دار المنار، القاهرة، ج1.
76. الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، محمد وصفي، دار البيان، دمشق، 2009م.
77. رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر، دار الفكر، عمان، 2010م.
78. تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ج1.
79. تاريخ الأنبياء، محمود عبده، دار المعرفة، بيروت، 2005م.
80. تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، دار الفكر العربي، بيروت، 1998م.
81. إلياس بني الفينيقيين، حسين علي الزومي، دار الكتاب، بيروت، 2016م.

فهرس الكتاب

الإهداء **3**

مقدمة الكتاب **4**

المبحث الأول: "إدريس عليه السلام" اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأقوال كتب التاريخ فيه، وهل كان قبل نوح (عليه السلام) أم بعده **8**

أولاً: اسمه ونسبه ومولده ونشأته وأقوال كتب التاريخ فيه: 8

ثانياً: هل إدريس (عليه السلام) قبل نوح (عليه السلام) أم بعده؟ 26

المبحث الثاني: إدريس (عليه السلام) في سورة مريم **39**

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: 39

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: 43

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ.... خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ 49

المبحث الثالث:

إدريس (عليه السلام) في سورة الأنبياء **56**

أولاً: المعنى: 56

ثانياً: من دروس قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ 58

ثالثاً: تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ 59

رابعاً: من دروس قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ 59

المبحث الرابع:

إلياس (عليه السلام)، نسبه ومكان مولده وعصره عند المؤرخين، وحديث القرآن عنه **61**

أولاً: نسبه ومكان مولده وعصره: 61
-1نسبه: 61
-2مكان مولده: 64
-3موطن دعوته وبعثته: 65
-4علاقة إلياس (عليه السلام) بالفينيقيين: 66
ثانياً: حديث القرآن الكريم عن إلياس عليه السلام: 71

المبحث الخامس:

قصة ذي الكفل واليسع عليهم السلام 82
أولاً: قصة ذي الكفل عليه السلام: 82
1.أقوال المفسرين في نبوته: 83
.2خلافته لليسع ونبوته: 84
3.الكفل هو مسند أحمد هل هو ذو الكفل؟ 85
4.ذكر ذي الكفل في سورة الأنبياء: 86
5.ذكر ذي الكفل في سورة ص: 86
ثانياً: قصة اليسع عليه السلام: 88
1.سورة الأنعام 89
2.في سورة ص: 89
ثالثاً: التعريف بالرسل والأنبياء، وأهم صفاتهم وضرورة الإيمان بهم، وحكمة إرسالهم، والأمور التي تفردوا بها: 89
1-تعريف الرسُل وصفاتهم: 90
2-الفرق بين النبي والرسول: 93
3-أهمّ صفات الرسل والأنبياء (عليهم السلام): 94

4-الإيمان بالأنبياء والمرسلين: 96
5-أعداد الرسل: 98
6-التفاضل بين الأنبياء والرسل: 99
7-أولو العزم من الرسل: 99
8-حكمة إرسال الرسل عامّة: 101
9-وظائف الرسل: 103
10-أمور تفرّد بها الأنبياء: 104
أ- الوحي: 104
ب- الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم: 105
ج- الأنبياء لا يُورِّثونْ: 105
د- تخييرهم عند الموت: 106
هـ- لا تأكل الأرض أجسادهم: 106
و- العصمة: 107
الخلاصة والنتائج: 108
المصادر والمراجع 125
فهرس الكتاب 129
السيرة الذاتية للمؤلف 132
كتب صدرت للمؤلف 133

السيرة الذاتية للمؤلف

د. عَلي محمَّد محمَّد الصَّلَّابي
مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ - 1963م.

- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.

- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.

- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.

- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على التسعين مؤلفًا.

كتب صدرت للمؤلف

1. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.
7. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12. الوسطية في القرآن الكريم.
13. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.
14. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.
15. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.
16. خلافة عبد الله بن الزبير.
17. عصر الدولة الزنكية.
18. عماد الدين زنكي.

19.نور الدين زنكي.

20.دولة السلاجقة.

21.الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22.الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23.الشيخ عمر المختار.

24.عبد الملك بن مروان وبنوه.

25.فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26.حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27.وسطية القرآن في العقائد.

28.السلطان عبد الحميد الثاني.

29.دولة المرابطين.

30.دولة الموحدين.

31.عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

32.الدولة الفاطمية.

33.حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

34.صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

35.استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول ﷺ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

36.الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

37.الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

38.المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

39.سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

40.الشورى في الإسلام.

41.الإيمان بالله جل جلاله.

42.الإيمان باليوم الآخر.

43.الإيمان بالقدر.

44.الإيمان بالرسل والرسالات.

45.الإيمان بالملائكة.

46.الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.

47.السلطان محمد الفاتح.

48.المعجزة الخالدة.

49.الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.

50.البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

51.التداول على السلطة التنفيذية.

52.الشورى فريضة إسلامية.

53.الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

54.العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.

55.المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

56.العدل في التصور الإسلامي.

57.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

58.الأمير عبد القادر الجزائري.

59.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

60.سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

61.كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

62.أعلام التصوف السُني: "ثمانية أجزاء".

63.المشروع الوطني للسلام والمصالحة.

64.الجمهورية الطرابلسية (1918 – 1922) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.

65.الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

66.المسيح عيسى ابن مريم (عليه السلام): الحقيقة الكاملة.

67.قصة بدء الخلق وخلق آدم (عليه السلام)

68.نوح (عليه السلام) والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

69.إبراهيمُ خليل الله (عليه السلام): "داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة".

70.موسى (عليه السلام) كليم الله.

71.موسى (عليه السلام) والخضر.

72.موسى (عليه السلام) في سورة طه.

73.موسى (عليه السلام) في سورة القصص.

74.موسى (عليه السلام) في سورة الشعراء.

75.مؤمن آل فرعون في سورة غافر.

76.لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)

77.سقوط الدولة العثمانية (الأسباب – التداعيات).

78.سقوط الدولة الأموية (الأسباب – التداعيات).

79.مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

80.النبي الوزير يوسف الصديق (عليه السلام) من الابتلاء إلى التمكين.

81.ذكريات لا تنسى.

82.الأنبياء الملوك داوود وسليمان (عليهما السلام)، وهيكل سليمان المزعوم.

83.لوط (عليه السلام) ودعوته في مواجهة الفساد والشذوذ الجنسي وعقاب الله للظالمين.

84.تجديد بناء المسجد الأقصى في عهد سليمان (عليه السلام) وقصة الهيكل المزعوم.

85.نبي الله هود (عليه السلام) وأسباب زوال حضارة قوم عاد.

86.نبي الله صالح (عليه السلام) وأسباب هلاك قوم ثمود.

87.الأبعاد الإنسانية والحضارية في شخصية النبي ﷺ.

88.نبي الله أيوب (عليه السلام) "طريق الشفاء ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾".

89.أنبياء الله إسحاق ويعقوب (عليهما السلام)

90.إسماعيل (عليه السّلام)